مجلـــة كليـــة العلوم الاسلاميـــــــة
العدد(٦١) ٧ شعبان ١٤٤١هـ / ٣١ آذار ٢٠٢٠م

رِثاء العُشَّاقِ
دراسة في الدلالة التركيبية
مرثية "كُثيِّر عَزَّة " أُنموذجاً

commiseration for lovers
Study in Indication Synthetic
Lamentation "Kuthaira Ouza" for instance

أ. د: نوزاد حسن خوشناو

Nawzad Hassan Khushnaw Assistant Professor dr.

جامعة صلاح الدين/ أربيل

Salahaddin University-Erbil

كلية اللغات/ قسم اللغة العربية

College of Languages-Arabic Language Department

م. م. سردار أحمد قادر

Assistant Lecturer: Sardar Ahmad Qadir

جامعة صلاح الدين/ أربيل

Salahaddin University-Erbil

كلية العلوم الإسلامية/ قسم التربية الإسلامية

College of Islamic Sciences- Islamic Education Department

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

مِمَّا لاشك فيهِ أنَّ تعدُّدَ المواقف والظروف والملابسات تهيَّأت لتؤدي وظيفة تعدُّدِ وتنوُّع الدوافع والمثيرات في الإنسان المتميز بأنظمتهِ الشعورية واللاشعورية والغريزية الحساسة، لتؤدي فيه بالتالي إلى تعدُّدِ وتنوُّع المشاعر والأحاسيس والعواطف والانفعالات، وهذا يتطلَّب ويستدعي بالتالي أنماطاً مختلفة ومتنوعة مِنَ التراكيب اللغوية الدالة المتحرِّرة مِنْ تلك القدرة اللغوية الكامنة التي شاء اللهُ أنْ تكونَ فريدة في وظيفة التفريغ والتنفيس عَنْ تلك المشاعر والأحاسيس والعواطف التي تُثارُ بِمثيراتِها المتعدِّدة والمختلِفة، والتي ما هي إلاَّ أغراضٌ وحاجاتٌ نفسية وبيولوجية تتطلب التحقُّق والنفاذ. فبهذا أصبحتِ اللغةُ وعاءً لاحتضانِ المشاعر والأحاسيس، ومطيةَ الحاجات والأغراض، ومرآةً منعكِسة، ومنظاراً كاشِفة لِما يجولُ ويجري في الخلد والخاطِر والأعماقِ، وهي طوعٌ وتبعٌ لها بما فيها مِنْ إمكانيات. تلك التعددية يمكنُ أنْ تُلتمسَ في كثيرٍ مِنْ أنسِجة اللغة المترتّبة مِنْ عناصِرِها، كونُ تلك الأنسجة صورة منعكِسة لِمكابِدِ الإنسانِ، لاسيِّما أنسجةُ الشعر، ولاسيَّما المرثيَّات، كونِها تُعدُّ مِنْ أعقدِ أنسِجةِ اللغة الحيَّة والمعمورة بالمشاعِرِ والأحاسيسِ والعواطِفِ، وذلِك لِتعدُّدِ الروافدِ التي تُغذِّيها. ويُمكِنُ أنْ نلتمِس تلك الحقيقة في كثيرٍ مِنْ ألوانِ المرثيات، لاسيَّما مرثية العُشَّاقِ.

ـ الكلمات المفتاحية "keywords" : التركيب الدال، الدلالة التركيبية، السلوك اللغوي، غريزة الحُبِّ، العِشق، المشاعر والأحاسيس، الشعور واللاشعور.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدَّمة:

الحمد للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاة والسلام على خيرِ الخلقِ محمدٍ المُرسَلِ رحمةً للخلقِ أجمعينَ، وعلى آلهِ وصحبِهِ الطيبينَ الطاهرينَ، أمَّا بعدُ:

فلمَّا كان الإنسانُ كائناً اجتماعياً، فقد اقتضى الأمرُ أنْ تتجلَّى تلك الطبيعة الاجتماعية عبْرَ سلوكياتهِ وفعالياتهِ، لاسيَّما مظاهِر سلوكية تُسمَّى بالاجتماعيَّات، مِنْ بينها التعازي والمراثي التي تُعدُّ جُزءاً مِنْ تلك الحاجات والأغراض التي تُشكِّلُ بنيةِ الإنسانِ السيكوبيولوجية، والتي تتحفَّزُ وتُثارُ بِدوافِعَ فطرية غريزية "داخلية"، وأخرى اجتماعية بيئية "خارجية". والحزنُ الذي يُشكِّلُ بِنية المراثي هو سلوكٌ، وهو في الحقيقة حاجةٌ مُثارةٌ، كونُ" السلوك الإنساني يرتبطُ بالحاجات المتعدِّدة، فإذا وجِدتِ الحاجة اختلَّ التوازنُ، واقترن هذا الاختلال بِحالةٍ مِنَ التوتر والضيقِ مصحوبةً بتوتر انفعالي معيَّن، وهذهِ الحالة هي التي تُعرفُ بالدافِع "Motive" الذي يُشكِّلُ قوَّةً دافعة تثيرُ الفاعلية وتدفعُ الإنسان للقيام بِنشاط وفعل، يبحثُ عنِ الهدفِ الذي يلبي الحاجة، ويزيلُ التوتر "[1]. أي أنَّ" حالات الحزنِ والفرحِ والنومِ والعملِ وغيرها نتيجةٌ لِدوافِع نفسية تتعلَّقُ بالحاجات والغرائز والآمال التي تُعدُّ المحركات الأساسية للسلوك"[2]. سواءٌ أكان قولاً أو فعلاً، أي أنَّ ذلك يؤدي إلى أنْ تكونَ اللغة ــ التي هي جزءٌ مِنْ بيولوجية الإنسانِ ومِنْ إمكانياتهِ الكامِنة واللامتناهية، أنْ تصبحَ هي الأخرى فيما بعدُ سلوكاً يُسمَّى بالسلوك اللفظي ــ مِنْ أبرزِ الظواهِرِ الاجتماعية ملائمةً مِنْ حيثُ الإمكانيةِ والقدرة في تحقيقِ الطبيعة الاجتماعية في الإنسان عَبْرَ سلوك التواصل الملفوظ والمكتوب، لاسيَّما ذلك المظهر الذي هو الرِّثاءُ، وذلك مِنْ خلالِ ما تمتلِكهُ مِنْ قدرة وسعة تتميَّزُ بِها عناصرها ووحداتها جاعِلةً مِنها أوعيةً تحتضِنُ ما تقتضيهِ البنية السيكوبيولوجية للإنسانِ مِنْ حاجات وأغراض مُشكَّلةً مِنها لأجلِها صوراً ــ بِحسبِ ما تستدعيهِ المواقِفُ والأحوالُ والمقامات ــ تتجسَّدُ فيها المشاعِرِ والأحاسيسَ والعواطف سالِبة كانتْ أو موجبة، تبعثها تلك الحاجات والأغراض المثارة بِدوافِعها. فكونُ اللغةِ وسيلةً للتعبيرِ والتواصلِ، فتكمنُ تلك الكينونة في تراكيب لغوية ــ مترتَّبة مِنْ تلك العناصر والوحدات التي تمتلِكها، بِحسبِ ما يترتَّبُ مِنْ تلك الحاجات والأغراض مِنْ مشاعِرِ وأحاسيس وعواطف، أي بِحسبِ قاعِدة

الاقتضاء ـ تُسمَّى بـ" التراكيب الدَّالـة". ومـا نـرومُ الحديثَ عنْـهُ هو التراكيب التـي تخصُّ غرض الرِّثاءِ الذي هو نَسجُ صورٍ ـ بتلك التراكيبِ ـ مِنَ الحزنِ والألمِ، ولأجلِهما، بِفراقِ الأحبَّـةِ بـالموت، ويُسمَّى ذلك النسيجُ بالمرثيـة أو الرِّثـاءِ الذي هو تعبيرٌ عَنِ ألمِ الحزنِ الذي يعتري الإنسـانَ ويعانيـهِ بِمـوتِ الأحبـةِ، أو أنَّـهُ تعبيرٌ عنْ ألمٍ نفسـاني" يعرض لفقدِ محبوبٍ أو فوتِ مطلوبٍ"(٣). إذنْ فالرِّثاءُ هو الحزنُ، لأنَّهُ" بصفةٍ عامةٍ، لا يُصْدرُ إلاَّ عَنْ نفسٍ تُعـاني مَرارةَ الحزنِ، والأسـى والشـعورِ بِفداحـةِ الفقدِ"(٤). وهذا يعنـي أنَّ الرِّثـاءَ أو شـعرَ الرِّثـاءِ تمظهُرٌ سلوكيٌ تراجيدي باللغـةِ، أو تصويرٌ ومحاكـاةٌ لأحوالٍ تراجيديـة ـ مِنَ الحُـزنِ والألـمِ والحسرةِ والأسـى والخـوفِ والوجَـعِ والفجـعِ ـ يمـرُّ بِهـا الشـاعِرُ نفسـهُ، أو يُحاكيها مِنْ أناسٍ آخرينَ بِسببِ الفقدِ أو فِراقِ الأحبـةِ. ونسميهِ فعلاً تراجيدياً، لأنَّ الرِّثـاء قائِمٌ على الشفقةِ والخوفِ، وهما يؤلِفانِ مصدر الأفعالِ التراجيدية(٥). ولاشكَّ في أنَّ الشعر أكثرُ استجابةً لِمشاعر الحزنِ، لإنَّ الشعرَ ينبوعٌ يتفجَّرُ مِنَ الوجدانِ والهاماتٌ تَمتدُّ إلـى مـا وراءَ الواقـعِ، لـذلك فهو أقـوى علـى تصويرِ الموتِ، والآهـاتِ أكثر مِـنْ غيرِهِ مِـنَ الفنـونِ الأُخرى"(٦). ما سبقَ كان سبباً لأنْ نختار ونستشفَّ نموذجاً مِنْ بينِ ألوانِ قصائِدِ الرِّثـاء المتعدِّدة، قاصِداً الكشفَ بالتقصي عنْ شيءٍ مِنْ ذلك الجانبِ مِنْ حياة الإنسانِ، والذي يُشكِّلُ عالمـاً بنفسـهِ تسودهُ الأسرارُ والمكنونـات، كونـهُ يتعلَّـقُ بالجانبِ النفسـي للإنسـانِ المُصابِ بِفجيعةِ الفِراقِ، إلى جانبِ كونهِ معبِّراً عنِ الشعور واللاشعور. بالإضـافة إلـى مـا سبقَ فإنَّ مُصطلح "الدلالـة التركيبيـة" التـي تُشكِّلُ بؤرةِ الدراسـة تُقيِّدُنا بـأنْ نكونَ أحوجُ، وفـي أمسِّ الحاجـةِ إلـى طرقِ أبوابِ عوالم مختلفـة ـ عـالَم اللغـة بِسـعتِه، وعـالم الـنفسِ بعمقِهِ وغورِهِ ـ احتضنتها تلـك التراكيبُ، وتلـك العوالِم لا تضيئها إلاَّ أضواءُ علومٍ تُشـارِكُ طبيعة تلك التراكيب ـ كونُهـا حاضِنـةُ عـالم النفس المعقدةِ ـ كعلوم اللغـة، وعلـم النفس، وعلـم الاجتمـاعِ، فلـيسَ هُنـاك مـا يغْنينـا للاستغناءِ عنْ أبوابِ تلـك العوالِمِ، وأضواءِ تلـك العلومِ، كونُ "الدلالـة التركيبيـة" التـي هـي ثمرةُ أو نتـاجُ تلـك التراكيبِ الدالـةِ التـي انصـهرتْ فيها تلك العوالِم، لاسيَّما التراكيب التي نُسجتْ بِهـا المرثيـاتُ. فقدْ قيل فـي شـأنِها، بأنَّهـا:" عبـارةٌ عنْ وحدةٍ متلاحمـةٍ تتـألفُ مِـنَ المفرداتِ المعجميـةِ ووظائفهـا النحويـة، فـالمفرداتُ اللغويـةُ إذا لمْ تسلكْ وفقَ نظامٍ نحوي يحكمُ العلاقـة فيمـا بينهـا تصبحُ أداةً غير فعَّالـةٍ فـي التواصل اللغوي بينَ أبناءِ اللغة"(٧). وقيل:" هـي الدلالـةُ الناشئـةُ عنِ العلاقـةِ بينَ وحداتِ

التركيبِ أو المستمدة مِنْ ترتيبِ وحداتهِ على نحوٍ ما"[٨]. أي أنَّ التراكيب اللغوية الدالَّة" تقومُ بينها طائفةٌ مِنَ العلاقاتِ النحويةِ، وإذا تغيرتْ هذه العلاقاتُ تغيرتِ الدلالةُ التركيبيةُ تبعاً لذلك"[٩]. وهذا يعني أنَّ العلاقات النحوية هي المتحكمة وهي المنتجة للتراكيب ـ ودلالاتها ـ بأنماطها المتنوعة والمختلفة، بحسبِ مقتضيات الأحوال والمقامات التي تُشعِّبُ علاقات التراكيب اللغوية الدالَّة بالعلوم، وهو عائدٌ إلى توسع آفاق العوالِمِ فيها. ويعني ذلك خضوع تلك التراكيبِ إلى معاييرِ تلك العلومِ، إلى جانبِ معايير النحو مِنْ التآلف والترتيب والانسجام بينَ عناصرِ اللغة، وفقَ مقاصدِ المتخاطبينَ وأغراضِهم ونواياهم، قصدَ إقامة التواصل وفقَ مبدأ الفهم والإفهام، والتأثير والتأثر، ولا تُحقِّقُ ذلك إلاَّ معاييرُ النحوِ، تلك المعايير التي تهيأتْ واتقنَتْ وفقَ تلك التقنية والحساسية التي تتصف بها طبائعُ البشر التي وصلتْ في إفراطِها مِنَ الحساسية والدِّقة إلى غايتها ومنتهاها. فما سبقَ كان سبباً في اتخاذِنا التراكيب المتنوعَّة في رِثاءَ العُشاقِ، لاسيَّما مرثية" كُثيِّر عزَّة" الحيِّزُ الذي يتسِعُ لِهذا البحثِ المتواضع، كونها تفيضُ بالمشاعرِ والأحاسيسِ والانفعالات التي كانتْ تعتري الشاعِر، وأثارتْ فيه التنفيسَ والتعبير عنها بِلُغةٍ شُعورية صادِقة. كما اقتضتْ طبيعة مادة البحثِ أنْ تأتي موزَّعةً على مبحثينِ، مسبوقاً بملخَّصٍ باللغتينِ العربية والإنجليزية، ومقدَّمةٍ حول الموضوعِ، ومختومةٍ بِنتائِجِ توصَّل إليهِ البحثُ، وبِقائِمة للمصادر والمراجع المستخدمةِ في البحثِ. وفي الخِتامِ فإنَّ ما أصبتُ فمنَ المُستعانِ جلَّ وعلا، وما أخطأتُ فمِنَ النفسِ والشيطانِ. وما لنا إلاَّ أنْ نحمدَ الله ونشكرَه على نعمِهِ التي تملئُ الأرضَ والسموات العُلى، ونرجو مِنهُ الاستقامة والسداد، وهو الولي التوفيق.

ـ المبحث الأول:

ـ الرِّثاء ودافِع الموت:

مِمَّا لاشكَّ فيهِ أنَّ الموتَ هو الباعِثُ والدافعُ والمثيرُ في إنشاءِ المراثي بأنواعها، فلولاهُ لَما وُجِدَ الموتى وَلَما بكى ورثى الرَّثائونَ في مرثاتهم، فالموتُ إذنْ يُشَكِّل خلفية المراثي كُلِّها. إلاَّ أنَّهُ على الرغم مِنْ ذلك فإنَّ هناك موجاتٌ مِنَ المثيراتِ والدوافع تقِفُ وراءَ إنشاءِ أيِّ مرثية فتشكِّلُ أحداثها التي تؤلِّفُ صورة المرثية، والتي ما هي إلاَّ مشاعِرٌ وأحاسيسٌ وعواطفٌ مُفرَّغة ومتنفسَّة عنها.

ـ الحُب ومرثية العُشَّاقِ:

وعلى الرغم مِمَّا سبقَ مِنْ دافِعِ الموت، ودوافِع ومثيراتٍ أخرى كثيرة، فإنَّ الأهم والأقوى مِنْ كُلِّ ذلك، والذي يُشكِّلُ مِداداً لِكلِّ تلك الدوافع والمثيرات، وينبوعاً مُرْفِداً لِنتاجات تلك الدوافع والمثيرات مِنَ الانفعالات والمشاعر والأحاسيس والعواطف التي هي مِنَ القوى المنبعثة مِنَ القلب، هو الحُبُّ، فلولاهُ لَما انبعثَتِ المشاعِرُ والأحاسيسُ التي تُشكِّلُ روحَ المرثيات، لاسيَّما رِثاءُ العُشَّاقِ. فإذا شكَّلَ الحُبُّ في المرثياتِ الدم الذي يجري في العروق، فإنَّهُ الروح الذي تحيا بهِ الأجسادُ في رِثاءِ العُشَّاقِ. ولاشكَّ " أنَّ الحُبَّ الذي هو نقيضُ البُغضِ"(١٠)، طبيعةٌ أو غريزةٌ أودعها اللهُ في قلوبِ مخلوقاتِهِ، لاسيَّما قلوبَ البشريةِ لحكمة أرادَ أو شاءَ بِها تعالى جلَّ جلالُهُ. إنَّ وجودَ الحُبِّ كغريزةٍ أو طبيعةٍ مودِعة حية وفاعلة في الإنسانِ، دليلٌ على كونِهِ حاجةً لا يُستغنى عنها، ولابُدَّ مِنْ الشروعِ بهِ وممارستِهِ. والحاجة مِنهُ تكمنُ في أنَّهُ هو القوة الوحيدة التي تجمع أفراد الجنس البشري في المجتمعاتِ عامة، وتجمع الأجناس المختلفة خاصة، فهو القوة الوحيدة التي تُنشِئُ الأُسرَ وتؤلِّف بينها. فالحُبِّ هو السِّرُ في الحياةِ، فبوجوده تستمرُّ الحياة، وبعدمِهِ تنعدمُ الحياةُ، لانحلال البُغضِ محلَّهُ. وقيل:" إنَّ الحُبَّ حالة قُصوى مِنْ حالات الشرط البشري، وشكلٌ مِنْ أشكالِ ممارسة الإنسانِ لذاته وبقائِهِ"(١١). الذي يجعلُ مِنَ الحُبُّ أنْ يتمتَّعَ بهذه السيادة والهيمنة في حياةِ الإنسان هو كونه عبارةً عنْ شيئينِ أو أنَّهُ يتألَّفُ مِنْ حالتينِ رئيسيتين(١٢): إحداهما: حالةٌ نفسيةٌ يتميزُ بها الإنسانُ عنِ الحيوانِ. والثانية: غريزية بيولوجية حيوانية. وهذا يعني أنَّ الحُبَّ عبارةٌ عنْ قوةٍ مركبةٍ مِنْ قوَّتينِ. أو أنَّهُ عبارةٌ عنْ مشاعرَ ممتزجة نفسية وبيولوجية. قيل:" الحُبَّ أعظمُ قوة

في العالمِ يلعبُ في قلبِ الإنسانِ، ويخضعُ لقوةٍ غير منظورة، تقوده إلى حيثُ لم يكنْ راغباً"(١٣). إنَّ تلك القوة هي التي جعلتْ مِنَ الحُبِّ:" شريعة يخضعُ لها المجتمعُ البشري، فتفرضُ نفسها على جميع الأمم والنَحِل لأنَّهُ حياةُ الأنفس ومجمع العبادة والإحساسِ الروحي لعزاء البشر، كما أنَّهُ رغبة شهوانية... فالحبُّ... مادة أساسية لهذهِ الحياة الدنيا، حتَّى الحيوان فإنَّهُ مربوط بشريعة الحُبِّ"(١٤). ولكونِ الحُبِّ حاجةٌ حياتيةٌ لِكلِّ مخلوقٍ. لذا فقدْ أصبحَ الحُبُّ كالبذرةِ أو الحَبِّ المبذور في القلوبِ. لذلك قيل في المحبة بأنَّها:" مأخوذةٌ مِنْ حبَّةِ القلبِ وهي سويداؤه، ويقال ثمرته، فسميتِ المحبة بذلك، لوصولها إلى حَبةِ القلبِ، وذلك قريبٌ مِنْ قولهم: ظَهَرَهُ: إذا أصابَ ظهرهُ، ورأَسَهُ: إذا أصابَ رأسهُ، ورآهُ. إذا أصابَ رِئَتَهُ، وبَطَنَهُ: إذا أصابَ بطنهُ، ولكنْ في هذه الأفعال وَصَلَ أثرُ الفاعِل إلى المفعولِ، وأمَّا في المحبةِ فالأثرُ إنَّما وصلَ إلى المُحِبِّ"(١٥)، أي إلى الفاعِلِ، أي هذهِ هي كيفية المحبَّةِ. وقيل أيضاً المحبَّةُ هي:" غليانُ القلبِ وثورانهِ عندَ الاهتياجِ إلى لقاءِ المحبوب"(١٦). وقيل إنَّ المحبَّة:" اشتقتْ مِنَ الحَبابِ بِفتحِ الحاءِ. وهو ما يعلو الماءَ عِنْدَ المطرِ وعندَ الغليانِ، لأنَّ القلبَ يغلي ويهتاجُ ويظهرُ عليهِ مثل الحَبابِ شوقاً إلى مَنْ يُحبُهُ"(١٧). وقيل كذلك في الحُبِّ بأنَّهُ:" ميلُكَ إلى المحبوبِ بِكُليتكَ، ثُمَّ إيثارُك لَهُ على نفسِكَ وروحِكَ ومالِكَ، ثُمَّ موافقتِك لَهُ سِرَّاً وجهراً، ثُمَّ علمُكَ بتقصيرك في حُبِّهِ"(١٨). فالحُبُّ إذنْ:" دافِعٌ يميلُ بكلِّ مِنَّا إلى أَنْ تكونَ لَهُ علاقة حميمة بآخر يبادلُهُ المحبة ويفهمهُ ويتجاوبُ مَعَهُ"(١٩). أو أنَّ الحُبَّ دافِعٌ تلازمِه المشاعِر والأحاسيس والانفعالات، لأنَّهُ "حالة وجدانية، فيها رغبةُ المُحِبِّ أنْ يمتلك محبوبَهُ"(٢٠)، ولأنَّهُ كما قيل في المحبَّة:" هي سكون بلا اضطرابٍ، واضطرابٌ بلا سكونٍ، فيضطربُ القلبُ، فلا يسكنُ إلاَّ إلى محبوبهِ، ويضطرب شوقاً إليهِ، ويسكنُ عندهُ"(٢١). إنَّ ميلَ المُحِبِّ نحو المحبوبِ هو لكونِ المُحِّبِ يجدُ في المحبوبِ ما أودَعَهُ اللهُ في قلوبِ خَلْقِهِ مِنْ حاجاتِ نفسية وروحية وأُخرى بيولوجية غريزية، وهذا لا يؤدي في النهاية إلى أنَّ كُلَّ الحُبَّ هو لأجَل تحقيقِ هاتينِ الغايتينِ، لأنَّهُ كما قيل:" ميدانُ الحُبِّ فسيحُ الأرجاء لا يقتصر على الحُبِّ الشهواني فقطْ، بلْ ينبضُ القلبُ بالحُبِّ الروحاني والنفساني، فيقربُ ما بينَ الحُبينِ الشهواني والروحاني، فيُمزجُ النفوسَ بحبلٍ متينٍ مِنَ الصداقة والمحبة العذبة"(٢٢).

ـ أنواع الحُبِّ:

يتبيَّنُ مِمَّا سبقَ أنَّ دائرةَ الحُبِّ واسعةٌ، لا يقتصرُ على الحُبِّ الشهواني المتمثِّلِ بينَ الرجلِ والمرأة، بلْ تتوسَّعُ دائرتهُ إلى أبعدِ مدىً مُمْكنٍ، وهو المُتمثِّل في الأصناف التي بيَّنها علماءُ النفس وهي خمسة أصناف، وجميعها تبَعٌ للحِبِّ النفسي الذي هو أساس هذه الأصناف الخمسة، وأساس الحبِّ الجنسي "الشهواني"، أو العشقِ[٢٣] أيضاً. ومِنْ تلك الأصنافِ: صنفُ الحُبِّ الأخوي ويكونُ بينَ الأخوة على الحقيقة أو على المجاز، وصنفُ الحبِّ الأبوي ويكونُ مِنَ الأبِ لأولادِهِ، وصنفُ الحبِّ الشبقي، ويكون عشقاً وكلفاً بالمحبوبِ، فيطلبهُ دائماً ويهدفُ إلى الالتصاق بهِ ويتمنَّى وصاله، وصنفُ حب الذاتِ...وصنفُ حبِّ الله، ومصدره الحاجة الأكيدة في الإنسانِ لأنْ ينتمي، وأنْ يتواصل بالناس والعالم والكون كلِّهِ، وأنْ يعتقدَ أنَّ للوجودِ غايةٌ، وأنَّ لَهُ خالقاً[٢٤]. هكذا تتوسَّعُ دائرةُ الحُبِّ بحسبِ أصنافِ البشرِ، وتلك هي مصادرُ انبعاث مشاعر الحُبِّ بينَ بني البشر. وهي مشاعر متبادلة بينَ اثنين، لأنَّ " للحاجةِ إلى الحُبِّ شقانِ، الأوَّل هو الحاجة إلى أَنْ نتلقَّى الحُبِّ، والتالي هو الحاجة إلى أنْ نعطي الحُبَّ"[٢٥].

ـ معنى العِشْقِ، وآراء العلماءِ فيه:

وعلى الرغم مِنْ تلك السِعة في دائرة الحُبِّ، إلاَّ أنَّها تتضايق أو تتقلصُ فتنحصرُ في تلك العلاقة التي تقامُ بينَ الرجلِ والمرأةِ والتي تشاركها قوتا النفس والشهوة. تلك العلاقة التي تتصاعد وتشتدُّ فيها هاتانِ القوتانِ إلى ذروتهما، فينتجُ منهما ما يسمى بـ "العِشْقِ"، لأنَّ" الحُبَّ إذا قوي وتأكَّد فهو العِشْقُ"[٢٦]. قيل العِشقُ:" هو اسمٌ لِما فُضِلَ عنِ المقدارِ المُسمَّى حُبَّاً، وهو الذي لا يقدِرُ صاحِبُهُ على كتمِهِ"[٢٧]. وقيل:" العِشقُ فرَطُ الحُبِّ". وقيل أيضاً:" هو عُجْبُ المُحِّبِ بالمحبوبِ يكونُ في عفافِ الحُبِّ ودعارته". وقيل أنَّهُ سُئِل "أبو العباس أحمد بن يحيى" عنِ الحُبِّ والعِشْقِ: أيُّهما أحمدُ؟ فقال: الحُبُّ، لأنَّ العِشْقَ فيهِ إفراطٌ، وسمي العاشِقُ عاشِقاً لأنَّهُ يذْبُلُ مِنْ شدةِ الهوى كما تذْبُلُ العَشَقَةُ إذا قطعتْ، والعشقةُ: شجرةٌ تخْضَرُّ ثُمَّ تَدِقُّ وتصْفَرُّ"[٢٨]. وقيل أيضاً:" إنَّ الحُبَّ أو المحبَّة يكونُ بلا شهوةٍ، بينما العشقُ يُقرنُ بالشهوةِ"[٢٩]. وقالوا في الفرقِ بينَ المحبَّة والعِشْقِ:" المحبَّةُ جِنْسٌ، والعِشقُ نوعٌ، فإنَّ الرجلَ يُحِبُّ أباهُ وأُمهُ، ولا يبعثُهُ على تلفُ نفسهِ، بخلاف العاشِقِ"[٣٠]. وقالوا كذلك:" كُلُّ عِشْقٍ يُسمَّى حُبَّاً، وليس كُلُّ حُبٍ يُسمَّى عِشْقاً، لأنَّ

العِشْقَ اسمٌ لِما فَضَلَ عَنِ المحبَّة، كما أنَّ السَّرَفَ اسمٌ لِما جاوزَ الجُودَ"(٣١). وقيل إنَّ:" العِشقَ عِنْدَ الصوفيةِ أقصى درجات المحبَّة، ومعناهُ اتحادُ ذات المحبوبِ بذاتِ الحُبِّ، اتحاداً يوجِبُ غَفْلَةَ المُحِّبِ، شغلاً بشهودِ محبوبهِ في ذاتهِ، ولذا قيلَ إنَّ العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة، وأولاها الغرام وهو الانتشاء مِنْ خمر المحبَّة، ثُمَّ الافتتانُ وهو خلعُ العذار وعدم المبالاةِ بالخلقِ، ثم الوَلَهُ وهو مقامُ الحيرةِ، ثُمَّ الدهش وهو الذهول، ثُمَّ الفناء عنْ رؤية النفس، وهو أنْ يكونَ العاشِقُ لا يسمعُ إلاَّ لمحبوبهِ، ولا يبصرُ إلاَّ بهِ، ولا يدركُ إلاَّ بهِ ولَهُ، ومِنْهُ فناء بهِ عنْ نفسِهِ وعنِ الأشياءِ"(٣٢). ما يبدو مِمَّا سَبَقَ أنَّ الحُبَّ بألوانِهِ ومراتِبِهِ، على الرغم مِنْ كونِهِ مصدرَ انبعاثِ السعادة والسرورِ إلى القلوب، وهو في الوقت ذاته مصدرُ انبعاث الشقاء والعناءِ والبؤس والحسرة إلى القلوبِ، وذلك حينَ يفقدُ المُحِبُّ مَحبوبَهُ، أو العاشِقُ معشوقَهُ بالموت أو الهجر أو الرحيلِ. ولا فرق في تلك الأحوال بينَ الجنسينِ مِنَ الذكر والأنثى. على الرغم مِنَ التفاوتِ الحاصل في مشاعرهما. حيثُ قيل:" يختلفُ حُبُّ الرجلِ عنِ المرأةِ، فحُبُّ المرأةِ ذو حاسةٍ خاصةٍ بها مِنْ حرارةٍ وغيرها، فهي أكثرُ سِراً وغموضاً، أو أكثر دواماً وحيوية"(٣٣). أمَّا ما يخصُّ مسرَّاتُ الحُبِّ والعشق ومضراتهما، فقد قالوا:" الحُبُّ أوَّلُه صفاءٌ وهناءٌ، وآخره عناءٌ وشقاءُ"(٣٤). ويقول "فيثاغورس":" العِشْقُ طبعٌ يتولَّدُ في القلبِ ويتحرَّكُ وينمو ثُمَّ يتربَّى، ويجتمعُ إليهِ موادٌ مِنَ الحرص وكلَّما قوي ازدادَ صاحبهُ في الاهتياج واللجاج، والتمادي في الطمعِ والفكر في الأماني، والحرص على الطلب حتَّى يؤديهِ ذلك إلى الغمِّ المُقْلِقِ"(٣٥). وقيل:" إنَّ العِشْقَ شدةُ ميلِ النفسِ إلى صورةٍ تلائمُ طبعها، فإذا قويَ فِكْرَها فيهِ تصورتْ حصولها وتمنَّتْ ذلك، فيتجدَّدُ مِنْ شدةِ الفكرِ مرضٌ"(٣٦). وقال بعضُ الحكماءِ:" أوَّلُ الحُبَّ العلاقة" وهو شيءٌ يحدثُهُ النظرُ أو السمعُ فيخطرُ للبال، ويعرضُ للفكرِ ويرتاحُ لهُ القلبُ، ثُمَّ ينمى بالطمع، واللجاج، وإدمان الذكر"، ثُمَّ يقوي فيصيرُ حُبَّاً، ثمَّ يصيرُ هوىً، ثمَّ يصيرُ خُلَّةً، ثُمَّ عِشْقاً، ثمَّ وَلَهاً، فيسمَّى صاحبهُ مُدَلَّهاً، ومستهاماً، وهائماً، وحيرانَ، ثُمَّ يصيرُ مُتيَّماً، وهو أرفعُ منازِلِ الحُبِّ، لأنَّ التتيُمَ التعبُّدُ، والوجدَ ألمُ الحُبِّ، والهيمانَ الذهابُ في طلبِ غرضٍ لا غايةَ لهُ، والكلفَ والشغفَ اللَّهجُ بطلبِ الغرضِ"(٣٧). وقيل كذلك أنَّهُ ذكر "الجاحظ" عنْ بعضِ حكماءِ الهندِ أنَّهم قالوا:" إذا ظهرَ العِشْقُ عندنا في رجلٍ أو امرأة، غدونا على أهلِهِ بالتعزية"(٣٨). ويمكنُ أنْ نلتمسَ هذه الحقيقة، ونستدلُّ لها مِنْ مرثياتِ

الشعراء، لاسيَّما مراثي العُشَّاقِ، أي تلك المراثي التي نظَّمها العُشَّاقُ مِنْ كلا الجنسينِ، أي مِنَ العاشقينَ والعاشقاتِ حالَ رحيلٍ أو فراقٍ أو هجرانِ مَنْ يميلونَ إليهم بقلبهم الهائج والثائر، المليء بالحُبِّ المُغلي. الذي يبدو أنَّ الشاعر الذي ابتلي بالعِشْقِ، فإنَّهُ حينَ يرثي لفراق محبوبتهِ وبالعكس، فإنَّهُ لا يحاكي حُبَّهُ الآني، بلْ يحاكي حنينَهُ وأنينهُ واشتياقهُ أو شوقَهُ، ويحاكي ما مضى مِنْ حُبٍّ كان يتدفقُ بهِ قلبٌ هائج، حُبٌّ احتفظَ بآثارِهِ اللاشعورُ ويعيدُ ذِكراهُ مِنْ جديدٍ، فيُثيرُ في الشاعرِ الانفعالات التي هي مشاعِرٌ وأحاسيسٌ وعواطِفٌ. وقد قيل:" إنَّهُ بدونِ عاطفةِ الحُبِّ، لا يستطيعُ الشعراءُ والفنانونَ أنْ يعيشوا غير متمتعينَ بهِ، لأنَّ الحُبَّ تستعِرُ ناره وتلتهب، فتحرِّك وتمنحُ الفن الإبداعي قوة لارتقائهِ واندفاعِهِ، وأنْ يتكيفَ بالعقل والروحِ"[٣٩]. وقيل إنَّهُ:" قدْ ثبُتَ قديماً بأنَّ الشعراء العظماء والفنانينَ العباقرة، كانوا يتمتعونَ بطبائع الحُبِّ والعِشْقِ، فكان ذلك لهم عوناً على نبوغهم"[٤٠]. وقيل أيضاً:" إنَّ الطبائعَ الشعرية تتزيَّنُ بألوانٍ مِنَ الحياةِ، أجملُها وأحلاها ذكرياتُ الشعراء في الحُبِّ، فيصفونَ الجمال والتمتعات العذبة التي تمتعوا بها، وقد يتصورونها تصويراً قريباً مِنَ العبادة... وأنَّ الحبَّ قوةٌ تسوقُ إلى أعمالٍ رفيعةٍ جداً في حياة البشرِ"[٤١]. بالإضافة إلى المرثيات التي تُعدُّ مرآةٌ جيدةٌ تعكسُ كثيراً مِمَّا تُبْطِنُهُ الحُبُّ والعِشقُ في طياتهما مِنْ أسرارٍ ومكنونات، وما تُبعثانِهِ مِنْ سعادةٍ وشقاء، فإنَّ لِكثرةِ وتنوُّعِ وتعدُّدِ الأسماءِ التي وردتْ واستعملتْ مِنْ قِبلِ العربِ، هي الأخرى التي ترفعُ السِترَ عنْ خفايا وأسرارٍ في حياةِ مَنْ يُمارِسُ غريزةَ الحُبِّ، ومَنْ يُفرِطُ فيها، أي حياةُ العُشَّاق. ومِنْ هذهِ الأسماء هي التي ذكرها "ابن قيم الجوزية" "ت٧٥١هـ"، والتي تبلغ عددُها خمسينَ[٤٢] اسماً، حيثُ قال في شأنِها:" لَما كانَ إلفهم " أي إلفُ العرب" لهذا المُسمَّى أكثر، وهو بقلوبهم أعلقُ، كانتْ أسماؤه لديهم أكثرُ. وهذا عادتهم في كلِّ ما اشتدَّ إلفهم لَهُ، أو كثُرَ خطورهُ على قلوبِهم، تعظيماً لهُ، أو اهتماماً بهِ، أو محبة لَهُ"[٤٣]. فما توحي به هذه الأسماء ـ والتي هي محاكاةٌ لكلِّ ما يجري في أعماقِ الإنسانِ مِنْ أحداثٍ حسيةً شعورية، وكُلّ ما يحلُّ ويُصابُ بهِ الإنسانُ، وكُل ما يتردَّدُ إليهِ حينَ تتحفزُ فيهِ تلك الغريزة وتتنشَّطُ ـ هو أنَّ تلك الغريزة شيءٌ لا يمكنُ أنْ يُستغنى عنهُ، كما أنَّها توحي بمدى ما يعانيهِ الإنسان مِنْ عناءٍ وشقاءٍ ويأسٍ وحسرةٍ مِنْ جراءِ ممارستهِ للحُبِّ. كما توحي تلك الأسماء بقوة الدافعية التي تحملُها هذهِ الغريزة بحيثُ تخرقُ كثيراً مِمَّا يُسمَّى بالصعوباتِ

والعقبات. يقولُ "Goeth":" إنَّ في الإنسانِ بعض القوى المغنطسية التي هي السبيلُ الوحيد لجذبِ المحبينَ والاندفاع بِهم نحوَ الحُبِّ، حسبَ الحاجة التي تصادفهم، وتكونُ هذه القوى شديدة لدى العُشاقِ، حيثُ تعملُ دائماً في تقريبِ المسافات والقضاءِ على التفاوتِ بينَ المُحبينَ"(٤٤). فالحُبُّ إذنْ كما يُقال:" يُسبِّبُ السعادة والشقاء، يُسبِّبُ الفرحَ والحزنَ، يُسبِّبُ الإقدامَ والجبنَ، يُسبِّبُ الأمل واليأس، يُسبِّبُ الحياة والموت"(٤٥). أمَّا العِشْقُ فلكونهِ إفراطاً في الحُبِّ، ولكونِهِ كما قيل:" مرضٌ يعتري النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة"(٤٦)، ولكونهِ تغلبُهُ قوة الشهوة والوصالِ، ولكونِهِ كما قيل:" لا يسمَّى عاشقاً إلاَّ مَنْ إذا فارقَ معشوقَهُ لمْ يخلُ مِنْ تخيلهِ فيمتنعُ مِنَ الطعامِ والشرابِ باشتغالِ الكبدِ، ومِنَ النومِ باشتغال الدماغِ بالتخيُّلِ والفكرِ والذكرِ، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلتْ بهِ"(٤٧)، فلا يجلبُ العِشقُ إذنْ إلاَّ المشقة والعناء واليأس والاشتياق والحزن والأذى والغربة والحسرة لصاحبه. وقد قيل إنَّ:" المعاناة في الحُبِّ يُنسبُ إلى التفرقة بينَ اللذَّة في الحُبِّ التي تنتهي بنشوة الانعاظ، وبينَ الاتجاهِ إلى هذه اللذّة وهو السلوك الذي يسبقها. ويميل بعض الناس إلى التوقف عندَ هذا السلوك ويستديمونَ ما فيه مِنْ لذةٍ ويسميها "الفرويديونَ" لذة الاحتجاز. وينسبُ كلَّ الشعراء العذريونَ إلى هذا الأسلوب الاحتجازي في الحُبِّ، حيثُ تتحقَّقُ اللذَّة مِن خلالِ المعاناة. والشاعر العذري يجدُ لذَّتهُ في الأنينِ، وسعادتهِ في أنْ يعيشَ هذا الاتجاه إلى اللذَّة دونَ أنْ يبلغها حقيقة، فأنْ يعيشَ في توترٍ وانتصابٍ دائمٍ خيرٌ لهُ ألف مرة مَنْ يبلغُ الهزَّة ثُمَّ الارتخاء مِنْ بَعْدِ ذلك والعدم. والمحُبُّ الحقيقي هو هذا الذي يستديمُ اللذَّة في عدم تحقيقها، لأنّ تحقيقها يعني أنَّ حُبَّهُ جنسي، وعدم تحقيقها هو الذي يرفع حُبَّهُ إلى مستوى العطاء"(٤٨). هذا مِنْ جهةٍ، ومِنْ جهة أخرى فإنَّ هناك مَنْ يرى أنَّهُ" بتأثير الشعور الجنسي، يصبحُ التصوُّرُ حيَّاً ونشِطاً، والحاسة رقيقة وحيَّةً والأفكار والأعماق نامية متطورة"(٤٩).

ـ المبحث الثاني:

ـ مرثية "كُثيِّر عزة"، ودراستها الدلالية التركيبية:

وخيرُ الوثائقِ ما يُبرهِنُ مِمَّا سبقَ ما يعانيهِ العُشَّاقُ مِنَ الرجال والنساء في حياتِهم مِنْ بَعْدِ رحيلٍ أو فِراقِ عشيقاتِهم وبالعكسِ، هو تلك المرثيات التي نظَّمها العُشَّاقُ، حيثُ يجعلونَها لوحاتٍ يرسِمونَ فيها حالهم وما أصابُهم وما حلَّ بهم مِنْ بَعْدِ موت عشيقاتهم وبالعكس، ويحاكونَ فيها مشاعِرهم وأحاسيسهم وعواطفهم وانفعالاتهم تجاهَ مصيبتِهم بالبكاء والحزن والأسى واليأس. كُلٌّ بِحسبِ ما كان يحيطُ بِهِ مِنْ ظروف وأحوال وملابسات تصبحُ هي الأخرى مثيرات ودوافع قويةٍ في إثارة تلك المشاعر واشتداد الانفعالات في هؤلاء وبالتالي انعكاس آثارها على ما ينسجونهُ مِنْ مرثيات وما يؤلِّفُ تلك المرثيات مِنْ تراكيب لغوية دالَّة تُجسِّدُ تلك الآثار على حقيقتها. ومِنْ نماذج تلك المرثيات ما قالَهُ "كُثيِّرُ عزَّة" في رِثاءِ "عَزَّة" المرأة التي عشقها "كُثيِّرُ"، وهي التي عشقتْهُ كذلك، فقالَ "كُثيِّرُ" في رِثائها، قائلاً(٥٠):

سِراجُ الدُجى صِفْرُ الحَشَا مُنتهى المُنى ... كشمسِ الضُحى نوَّامةٌ حينَ تُصْبِحُ(٥١)

إذا ما مَشَتْ بينَ البيوتِ تخزَّلَتْ ... ومالتْ كما مالَ النزيفُ المُرَنَّحُ(٥٢)

تعلَّقْتُ عزّاً وهي رُؤْدٌ شبابُها ... علاقةَ حُبٍّ كادَ بالقلْبِ يَرْجحُ(٥٣).

أقولُ ونِضْوي واقفٌ عِنْدَ رَمْسِها ... عليكِ سلامُ اللهِ والعينُ تسفَحُ(٥٤)

فهذا فِراقُ الحقِّ لا أنْ تُزيرَني ... بلادَكِ فَتْلاءُ الذِّراعينِ صَيْدحُ(٥٥)

وقد كنتُ أبكي مِنْ فراقِكِ حيَّةً ... وأنتِ لَعَمْري اليومَ أنأى وأنْزَحُ(٥٦)

فيا عَزَّ أنتِ البدْرُ قدْ حالَ دونَهُ ... رجيعُ ترابٍ والصَّفيحُ المُضرَّحُ(٥٧)

فهلاَّ فِداكَ الموتَ مَنْ أنتِ زيتُهُ ... ومَنْ هو أسوا مِنكِ دَلاًّ وأقبحُ(٥٨)

على أُم بَكْرٍ رحمةٌ وتحيَّةٌ ... لها مِنكَ والنائي يَودُّ ويَنْصَحُ

مُنعَّمةٌ لو يدرُجُ الذَّرُ بَيْنَها ... وبينَ حواشي بُرْدِها كادَ يَجْرحُ

وما نظَرَتْ عيني إلى ذي بشاشةٍ ... مِنَ الناسِ إلاَّ أنتِ في العينِ أملحُ

ألا لا أرى بَعْدَ ابنةِ النَّضْرِ لذَّةً ... لشيءٍ ولا مِلْحاً لَمنْ يتملَّحُ(٥٩)

فلا زالَ رَمْسٌ ضمَّ عَزَّةَ سائلاً ... بهِ نِعْمةٌ مِنْ رحمةِ اللهِ تسْفَحُ

فإنَّ التي أحببتُ قد حالَ دونَها ... طوالُ الليالي والضَّريحُ المصفَّحُ

أربَّ بعينيَّ البُكا كُلَّ ليلةٍ فقدْ كادَ مجرى الدَّمعِ عينيَّ يقْرَحُ
إذا لمْ يكُنْ ما تَسْفَحُ العينُ لي دَمَاً وشرُّ البُكاءِ المُستعارُ المُسيَّحُ.

مِمَّا لاشك فيهِ أنَّ تعدُّدَ المواقف والملابسات يؤدي إلى تعدُّدِ وتنوُّع الدوافع والمثيرات، ويؤدي ذلك إلى تعدُّدِ وتنوُّع المشاعر والأحاسيس والانفعالات، وهذا يتطلَّب ويستدعي بالتالي أنماطاً مختلفة ومتنوعة مِنَ التراكيب اللغوية الدالة المؤدية لوظيفة التفريغ والتنفيس عَنْ تلك المشاعر والأحاسيس والتي ما هي إلاَّ أغراضٌ وحاجاتٌ نفسية وبيولوجية تتطلب التحقق والنفاذ. ولاشكَّ أنَّ اللغة كونَها تعبيرٌ وتصويرٌ لتلك الإحساسات، فهي المحققَّة لتلك الأغراض والحاجات. فاللغةُ مطيةُ تلك المشاعر والإحساسات ومطية تلك الحاجات والأغراض فهي تبعٌ لها بما فيها مِنْ إمكانيات. تلك التعددية يمكنُ أنْ تُلتمسَ في أي مرثية، لاسيَّما مرثياتُ العُشَّاقِ. كونُ الحُبِّ كما قيل:" أوَّلهُ صفاءٌ وهناءٌ، وآخرهُ عناءٌ وشقاءٌ"(٦٠). وقيل أيضاً:" إنَّ كَلَّ مَنْ يتعاطى جرعة الحُبِّ لابُدَّ مِنْ أنْ يكونَ مصيرَهُ إلى الفناء"(٦١). أي أنَّ الحُبَّ هو السببُ والباعِثُ في تلك التعدُّدية والتنوع. مِمَّا سَبَقَ يُمكِنُ أنْ يُستمَدَّ مِنْ مرثيةِ "كُثيِّرَ" لـ "عزَّةَ"، حيثُ انتقى أحداثاً مِنْ ذكريات حياتِهِ نقطة انطلاقة لَها. وقد روي أنَّهُ بَعْدَ فراقٍ طويلٍ بينَ العاشقينِ قدِمَ "كُثيِّرُ" مِنْ "كوفة" نحو "دِمَشْقَ" ناوياً مِنْ قدومِهِ الزواج مِنْ "عزَّةَ"، وحينَ "دنا مِنْ دِمَشْقَ، فإذا بجنازةٍ فاستَعبرَ وقال: أسألُ اللَّهَ خيرَ ما هو كائنٌ، فسأل عنَ الميِّتِ فإذا هي "عزَّة"، فخرَّ مغشيَّاً عليهِ، فعرف وصبَ عليه الماء، فكانَ مجهودَهُ أنْ بَلَغَ القبر، فلمَّا دُفِنَتْ انكبَّ على القبرِ وهو يقولُ"(٦٢) الذي قالَهُ. أمَّا في الكيفيةِ التي بدأَ بِها الشاعر في توظيف التراكيب اللغوية الدالة لِتُلقيَ فيها مشاعِرَهُ وأحاسيسَهُ وانفعالاته في تلك اللحظات الصعبة والعسيرة، فقدْ اتخذَ الشاعر التراكيب اللغوية الخبرية وعاءً لأنْ تُفرِّغَ فيها مشاعرهُ المنفعِلة، لِما في تلك التراكيب الخبرية مِنْ الإمكانية اللامتناهية في استيعاب القدرات الشعورية والحسية اللامحدودة المنبعثة مِنَ الإنسان في تلك المواقفِ، بعكس ما في التراكيب الإنشائية التي تتميَّزُ بالقصور في ذلك، بالإضافة إلى إكثارِهِ مِنْ استعمالِ الأفعالِ المضارِعة التي يُستوحى مِنها هاجِس حضور "عزَّة" في بالِ الشاعِرِ على الرغمِ مِنْ غيابِها. إلى جانبِ ذلك فإنَّ ما قد تمثَّلَ بهِ مشاعِرَهُ وأحاسيسهُ فعبارةٌ عَنْ صورتينِ مِنْ مشاعرِ التأبينِ، والندبِ، أي قسَّم الشاعر مرثيتهُ على التأبينِ حيناً وعلى الندبِ حيناً آخر يتردَّدُ بينهما.

هذا ما كانَ يقتضيهِ مقام الشاعر حينذاك. فقدْ بدأَ الشاعِرُ بالتركيب الاسمي الدَّال على الثبوتِ، وهذا ما يتناغمُ وحالة الموتِ الذي هو قرينُ الهمودِ. إذْ قامَ فيهِ بتعدادِ أوصافٍ كانتْ تتميَّزُ بها عشيقتهُ أيامَ شبابِها، تلك الأوصاف التي قد ألقتْ في قلبِ الشاعر حَبَّةَ الحُبِّ وأثارتْ فيهِ غريزةَ العِشْقِ والغرام والهوى، لأنَّ الحُبَّ أولَّ ما يتولَّدُ أو ينشأ، يتولَّدُ مِنَ الإعجاب والميل والاشتهاء الغريزي. فقدْ قيل إنَّ:" الحُبَّ قد يكونُ مدفوعاً بتطلُّعِنا الفطري إلى الجميل والصالح"(٦٣). وقيلَ:" إنَّ المرأة هي، في نظرِ الرجلِ، الشكل الأجمل والألطفِ. إذ هي، عندهُ الآنسُ والأبهجُ، وهي الأكثرُ إشراقاً وضياءَ، والأشدُّ فتنةً وسحراً"(٦٤). وقيل الحُبُّ:" اتجاه Attitudeيحملهُ الشخص نحو شخصٍ آخرٍ محدَّدٍ، ويتضمَّنُ استعدادات مُسبقة في التفكير والشعور والسلوك بطرائق معينة نحو ذلك الشخص"(٦٥). وهذا يعني أنَّهُ إمَّا قد تتعدَّدُ الأسبابُ أو قد تنفردُ في إثارةِ تلك الغريزة بحسبِ الأغراض والحاجات التي يشتهيها أو يفتقِرُ إليها المُحِّبُ. يقول "أفلاطون":" إنَّهُ لَما كان كلُّ مَنْ يرغبُ، إنَّما يرغبُ فيما هو محرومٌ مِنْهُ، أو يشتهي ما هو مفتقِرٌ إليهِ"(٦٦). لذا فإنَّ الغرض مِنْ إيرادِ الشاعر لتلك الأوصاف التي أسندها إلى عشيقتهِ، والتي وقعتْ أخباراً عنها، هو أنَّها كانتْ بؤرةَ نشأة حُبِّهِ، وأصبحتْ بالتالي بؤرةَ ومصدرَ انبعاثِ آلامِهِ وأحزانِهِ ومعاناتِهِ واشتياقِهِ، فبها تحفَّزتْ حبَّة الحُبِّ بالنموِّ والانتعاش، كما أنَّها الآنَ أصبحتِ الذِّكرى الوحيدة التي احتفظ بها اللاشعورُ حيَّةً، تُحفِّزُ وتوهِجُ فيهِ حرقة الأسى والألم والاشتياق بفراقِها. وقد تَمثَّلتْ تلك الأوصافُ التي تُجسِّدُ ما سَبَقَ القولُ في تركيبٍ إسنادي دال وآخر غير إسنادي، متمثِّلٌ في هيئة المضاف والمضاف إليهِ، ومِنْ تلك الأوصاف ـ التي هي في الحقيقة أخبارٌ لمبتدإٍ واحدٍ وهو "عَزَّةُ"، وقد حُذِفَ لِما يدُلُ عليه المقام، ولِكونِ المقام مقام المدحِ، وهو مِنْ دواعي حذفِ أحد أهم أركان التركيبِ الإسنادي وهو المسند إليه(٦٧). بالإضافة إلى ذلك فإنَّ ذلك الحذف في هذا المقامِ كما يبدو هو لأجلِ انشغالِ المتلقينَ بتلك الأوصافِ لا بـ "عزَّة"، وللذهابِ بخيالِهم إلى عالمٍ تمتزِج فيهِ الطبيعةُ والإنسانُ. ولاشكَّ أنَّ الحذفَ على الرغمِ مِنْ كونهِ ظاهِرة لغوية، الهدفُ مِنها الإيجاز وعدم إشعارِ المتلقي بِملِ التفصيلاتِ وإضفاءُ جماليةٍ على الكلامِ، وظاهِرةٌ " لغوية عامة تشتركُ فيها اللغاتُ الإنسانية حيثُ يميلُ الناطِقونَ إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما يُمكِنُ للسامِعِ فهمهُ اعتماداً على القرائن المصاحِبة

حالية كانتْ أو عقلية أو لفظية"[٦٨]. فهي تضفي سِمةً جمالية على التركيبِ، كونها تحمِلُ معاني نفسية كثيرة[٦٩]. وقد أشار " الجاحظ" إلى أهمية الحذفِ بِقولِهِ:" وأحسنُ الكلامِ ما كانَ قليلهُ يُغنيك عنْ كثيرِهِ، ومعناهُ في ظاهِرِهِ"[٧٠]. ويقول" الجرجاني":" الحذف بابٌ دقيق المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر ، شبيهٌ بالسحر، فإنَّك ترى بِهِ ترك الذكر، أفصحُ مِنَ الذكرِ، والصمتُ عنِ الإفادة، أزيدُ للإفادة، وتجِدُكَ أنطقُ ما تكونُ إذا لمْ تنطِقْ، وأتمُّ ما تكونُ بياناً إذا لمْ تُبنْ"[٧١] ــ هي: سِراجُ الدُّجى صِفرُ الحشا مُنْتهى المُنى، كشمسِ الضُّحى، نوَّامةٌ حينَ تُصْبِحُ، إذا ما مشتْ بينَ البيوتِ تخزَّلتْ، ومالتْ كما مالَ النزيفُ المُرنَّحُ. الذي يبدو أنَّ الأصل في التركيب هو: هي كانتْ سِراجُ الدُّجى، صِفْرُ الحشا، مُنتهى المُنى، كشمسِ الضُّحى، نوَّامةٌ حينَ تُصْبِحُ، إذا ما مشتْ بينَ البيوتِ تخزّلتْ، ومالتْ كما مالَ النزيفُ المُرنَّحُ. فتلك الصفات هي البارزة والثابتة فيها، والمتجدِّدة بعضها، وهي التي أثارتْ في الشاعر إحساسَ الحُبِّ تجاهها، ويستوحى مِنْ تلك الصفاتِ التبختر والكِبْرَ والعُجبَ والترف والغرور. ولاشكَّ أنَّ كلَّ ذلك صفاتٌ تجذِبُ وتستولي قلوبَ الشباب، وتستملي نفوسهم وتثيرُ رغباتهم نحو النساء. وما يُبرِّرُ ذلكَ هو التركيب الفعلي الدال المؤكَّد، ذلك التركيب الذي جسَّدَ وصوَّرَ المشاعر الهائجة والثائرة في قلبِ الشاعر المُحبِّ في تلك الفترة. وذلك التركيب هو المُتمثِّلُ في قول الشاعر: تعلَّقْتُ عزَّاً وهي رؤدٌ شبابُها، علاقةَ حُبٍّ كادَ بالقلبِ يَرجُحُ. فالتركيب الفعلي يوحي بما يؤلِّفه، لاسيَّما "تعلَّقَ" الفعل المتعدي فيهِ بالتضعيف، بأنَّهُ كما قدْ أثارتْ سلوكياتُ "عزَّة" غريزة الحُبِّ في قلب "كُثيِّرَ"، بحيثُ جعلتْ مِنْ قلبهِ يهتزُّ كُلَّما تراءتْ لهُ "عَزَّة". كذلك فقدْ تمكَّنَ "كُثيِّرُ" مِنَ النيلِ مِنْ حُبِّ "عَزَّة" لَهُ، واستمالة قلبِها نحوهُ. فأصبَحَ الحُبَّ مُدْرَكاً بينَ الطرفينِ. كما أنَّ التركيب بهيئتِهِ التي عليها يوحي بِشدَّةِ ما كان عليهِ حُبُّ "كثيِّرَ" لـ "عزَّة"، هذا ما يُستمدُّ مِنْ "علاقةً حُبٍّ " القيدِ الواقع توكيداً للحدثِ الواقع وهو "التعلَّقُ"، ومبيناً لنوع ذلك الحدث الواقع مَعَ إضفاءِ شيءٍ مِنَ التفخيم والتعظيم للحدث. فالقيدُ هو مِنْ نوعِ المفعول المطلق المبيِّن للنوع، فهو بالإضافة إلى كونِهِ مبيِّناً للنوع فالتوكيد ملازِمٌ له، لأنَّ التوكيد يسبِقُ البيانَ. كما يُلتمسُ مِنْ ذلك التوكيد الإحكام في ذلك الحُبّ بحيثُ لا يتخلَّلُهُ شيءٌ سوى الحُبِّ الحقيقي وهو " العِشْقُ"، بالإضافة إلى التماس الصِدقِ مِنَ التركيبِ في ذلك الحُبِّ، لأنَّ الإحكامَ في الشيءِ بمعنى تصديقِهِ وتوثيقِهِ. كما أنَّ التركيب الإسنادي الواقع قيداً

ثانياً للتركيب الفعلي السابقِ، وهو "كادَ بالقلبِ يَرْجَحُ" يوحي بذروةِ ما وصل إليهِ حُبُّ "كُثيِّرَ" لـ ."عَزَّةَ"، فالقيدُ وقعَ صفةً لذلك الحُبِّ، لأنَّ التركيب الإسنادي الواقع بعدَ النكرات صفةٌ لها. والمعنى هو أنَّ الحُبَّ الذي كانَ في قلبهِ قَرُبَ أنْ يُحدِثَ التفجيرَ بقلْبِهِ. فقدْ قيلَ في "كادَ" إنَّهُ:" إذا قلتَ "كادَ يَفْعلُ" إنَّما تعني: قارَبَ ولمْ يفعلْ. فإذا قلْتَ:" لمْ يكدْ يفعلُ" كان المعنى: إنَّهُ لمْ يفعلْ ولمْ يقاربِ الفعل"(٧٢). بالإضافة إلى ما سَبَقَ فإنَّ الذي يُثْبِتُ صِدقَ حُبِّ الشاعرِ لـ "عَزَّةَ"، هو قدومهُ مِنْ بلدِهِ إلى بلادِها، ووقوفهِ على قبرِها حيناً، والبكاءِ لها حيناً، والتمني لها حيناً، والدعاء لها حيناً، وتجديد العهد لها حيناً آخرَ بأنَّهُ كما كان لا ينظرُ بِعَيْنَيْهِ إلى ذوي بشاشةٍ سواها فسيبقى مُعاهداً وفيَّاً بعهدِهِ. هذا ما يُستمَدُّ مِنَ تراكيب لغوية دالة، مختلفة الأنماط وظَّفها الشاعر مُتَّخِذاً مِنها وعاءً مُلقياً فيها مشاعِرَهُ وأحاسيسَهُ وانفعالاتهُ مِنْ بعدِ فِراقها. يَقول "مارسيل بريفو":" الحُبُّ عاطفة تصدُرُ عنِ القلبِ، ولكنَّها سرعانَ ما تَضْمحِلُّ وتموتُ تحتَ ضغط الحياة اليومية، إنْ لم تقترنْ بعقلٍ راجحٍ يعرفُ كيف يوجِّهُها"(٧٣). لِذا فلولا الصدقُ الذي سادَ حُبَّهما وشِدةَ اشتياقِهما وكثرة تذكُّرِهما لبعضِهما، وتِرْدادِهما لذكرياتِهما لاضْمَحَلَّ حُبَّهُما. إلاَّ أنَّهُ كما قال "أبقراط" في العشق بأنَّه:" هو امتزاجُ النفسينِ كما لو امتزجَ الماءُ بماءٍ مثلهُ، عَسُرَ تخليصَهُ بحيلةٍ مِنَ الاحتيالِ، والنفسُ ألطفُ مِنَ الماءِ وأدقُّ مَسْلَكاً، في أصلِ ذلك لا تزيلُهُ الليالي، ولا تُحلقُهُ الدهورُ، مجهولٌ عَنِ الأوهامِ مسلكُهُ، وخُفيَ عَنِ الأبصارِ موضعهُ"(٧٤). لذا فإنَّ داءَ العشقِ على الرغمِ مِنْ فراقِ الموتِ، فإنَّهُ لا يُفارِقُ العاشقينَ عنْ بعضِهم، بلْ يزدادُ الحُبُّ حِدَّةً وشِدَّةً على قلوبِهم تُقرِّبُهم مِنَ الفناء. فقد قيل:" العشقُ هو داءُ الدويّ الذي تذوبُ معهُ الأرواحُ، ولا يقعُ مَعَهُ الارتياح، بلْ هو بَحْرٌ، مَنْ رَكِبَهُ غَرِقَ، فإنَّهُ لا ساحلَ لهُ ولا نجاةَ مِنْهُ"(٧٥). وقيل أيضاً:" إذا اقتحم العبدُ بَحْرَ العشقِ، ولعبتْ بهِ أمواجُهُ، فهو إلى الهلاكِ أدنى مِنْهُ إلى السلامةِ"(٧٦). فقد نَجِدُ أنَّ الشاعر على الرغم مِمَّا لُقي مِنْ ألمِ الفراقِ وألمِ الحزنِ والحسرة سنينَ، فهو لا يزالُ يضمُّ ويعايشُ آلاماً وأحزاناً أشدَّ ما لاقاهُ بسببِ فراقِ عشيقتِهِ النهائي. تلك مشاعِرٌ وأحاسيسٌ جسَّدها الشاعر في التركيب الاسمي الدال المنسوخِ والمنزاحِ عنْ نمطيتِهِ بـ "كان"، والمؤكَّد بـ "قد"، والمقيَّد بالتركيب الإسنادي الواقعِ حالاً مِنَ المفعولِ بِهِ لـ "فراق"، والتركيب هو: وقدْ كنتُ أبكي مِنْ فراقِكِ حيَّةً، وأنتِ لَعُمري اليوم أنأى وأنزَحُ. لاشكَّ أنَّ البكاءَ سواءٌ أكانَ في المسرَّاتِ والمضرَّاتِ

هو مُنْتهى ما يَصِلُ إليهِ الإنسانُ تعبيراً عَنِ الفرحِ والسرورِ أو تعبيراً عَنِ الحُزن والأسى. فالتركيب يوحي بأنَّ الشاعر كانَ يعتقدُ بأنَّ بكاءَهُ لِفراقِهِ حيَّةً كانَ أشدَّ ما يلاقيهِ مِنْ آلامِ الحُزنِ، ولمْ يُدْرِكْ بأنَّ هناكَ أشدُّ وأصعبُ مِنْ ذلك البكاءِ، وهو بكاءُ الفراق والرحيل بالموت، أي أنَّ بكاءَهُ سيصبحُ بَعْدَ اليومِ أشدُّ وأغزرُ، فشدَّتُهُ تتضاعَفُ وتتصاعدُ ومدى نأيهِ وانزياحهِ الذي لا مدى ولا مسافة تحدُّ ذلكَ الفِراقِ. فالتركيب الإسنادي الاسمي المطعم بالقسم والذي وقع قيداً حالياً، يوحي بِما قدْ وقعَ على الشاعر مِنْ عبءِ الحزنِ، وبِما أصابَهُ مِنَ الحسرةِ واليأس والأسى بِفراقِ عشيقتِهِ. هذا ما يستوحى مِنْ لفظ القسم "لَعَمْري" الذي وظَّفهُ الشاعرُ بقصدِ التعظيمِ والتفخيم لشأنِ ذلِك الحُزنِ مِنْ فراقِ حبيبتِهِ، كما يستوحى ذلك مِنْ لفظتي "أنأى"، و "أنزحُ" اللتينِ قد وردتا بصيغة "أفعلُ" الدالة على المفاضلة بينَ الفراقينِ والبُكاءَينِ، أي أنَّ تلك الألفاظ في ذلك التركيب وفي هذا المقام قدْ جسدَّتْ مشاعر الشاعر المأساوية. لاشكَّ أنَّ للألفاظِ وقعُها في تركيبِ الكلام، أي أنَّ أهميتها تتجلَّى داخل التركيبِ، ذلك أنَّ " الألفاظ لا تفيدُ حتَّى تؤلَّفَ ضرباً خاصَّاً مِنَ التأليفِ، ويعمدُ بِها إلى وجهٍ دونَ وجهٍ مِنَ التركيبِ والترتيبِ"(٧٧). فالدلالاتِ التي تؤول إليها الألفاظُ التي تحملُ في أطوائِها الانفعالات النفسية هي التي تضفي على التركيبِ مسحة أي شعورٍ، لاسيَّما مشاعِرِ الحزنِ، ولاسيَّما في الشعرِ. يقولُ "جان كوهين":" الشعرُ يُجسِّدُ بناءً ثقافياً جدليَّاً معقَّداً يتموقعُ على وفقِ تشكيلٍ خيالي جديد في بنية اللغة الشعرية على هيئة أنساقٍ مولَّدة للدلالة"(٧٨). لِذا فقد قيلَ:" الشعرُ هو حركة أمواجٍ، أمواجُ الخيالِ وأمواجُ الحقيقةِ، هو الروحُ ممتزجة بالمادة والمادة متحرِّكةً بالروحِ، الشعرُ هو اللغة الوحيدةُ التي تستولي على الإنسانِ بِكُلِّ ما فيهِ مِنَ الإنسانية فتولِّدُ سلطتها في قلبِهِ ودماغِهِ وسمعِهِ لِتُخرِجَ مِنهُ أحياناً دويُّ الزوبعةِ وأحياناً حفيفَ الأوراقِ"(٧٩). وهذا ما يجعلُ الألفاظ تأتي مسرودة تسري مِنَ اللاوعي إلى داخِلَ النظمِ، يقودُها لهيبُ الخيالِ المُنزاحِ مِنَ الانفعالِ، هذا ما يراهُ " رامبو" حيثُ يقولُ:" الشِعرُ هو نِتاجُ اللاوعي وقوَّةٌ داخليةٌ تعملُ برؤيةٍ غامِضة"(٨٠). بالإضافة إلى كُلِّ ما سبقَ فإنَّ لفظ القسمِ المُستعملِ على الرغم مِنْ دلالتِهِ على تأكيد تلك المشاعرِ المبثوثةِ، فإنَّهُ إيحاءٌ بِمدى التعلُّقِ الحاصِلِ بِعشيقتِهِ. كما أنَّهُ إيحاءٌ بالثبوتِ والدوام لِما اختارهُ لأجلِها وهو البكاء الذي لا يُمكِنُ أنْ يفارِقَهُ، كونُ عشيقتِهِ أصبحتِ الآنَ أبعدُ وأنأى مِمَّا كانتْ عليه. وعلى الرغم مِنْ كُلِّ ذلك

فإنَّ الشاعر قدْ عدلَ عنْ لفظ "الميت" بلفظتي "أنأى، وأنزحُ" تخفيفاً مِنْ شدَّةِ وَجْدِهِ وحُزنِـهِ، كأنَّهُ لا يصدِّقُ موتها، كأنَّها هي حيَّةٌ وبعيدة عنهُ، ولكنَّها الآنَ أصبحتْ أبعدُ. كما أنَّ ذلك العدول إيحاءٌ بأنَّ الشاعر ما كانَ يَجْرأُ أو يحِقُّ لِنفسِهِ أنْ يُطلقَ لفظَ الميِّتِ عليها لِحُبِّهِ الشديدِ لها، وأنَّهُ لمْ يتفكَّرْ يوماً بِفراقِها الحقيقي عنهُ. لذا فقدْ منعَهُ حُبَّهُ إطلاق لفظِ "الميِّتِ" عليها، على الرغم مِنْ أنَّ التركيبَ قدْ اقتضى ذلك، كون الشاعر قد استعملَ لفظة "حيَّةً"، ولكنَّهُ لمْ يأتِ بِضدِّها. بالإضافة إلى ذلك فإنَّ العدولَ في مثلِ تلك الألفاظ بإحلال الأخرى في محلِّها كالعدولِ عنِ لفظةِ الموتِ بـ" أنأى وأنزح"، والعدولِ عنْ لفظةِ "القبرِ" بـ "الرَمْس"، إيحاءٌ بكراهةِ واحتقارِ النفس لاستعمالِها في مثلِ هذهِ المقاماتِ. فإنَّ ذلك مِنْ طبيعة الإنسان النفسية، فهو يكره الموت ويعبِّر عن كرهِهِ لَهُ، حتَّى أنَّهُ يكرَهُ ويحتقِرُ سماعَهُ، ويكرَهُ كلَّ ما لَهُ صلةٌ بهِ، وهذا ليسَ لِكونِهِ يكرهُهُ ويحتقِرهُ، بلْ لأنَّهُ يخافُ مِنهُ. وما يُبْرِزُ احتقارَ الشاعرِ وشِدةَ كُرهِهِ للموتِ، بلْ خوفَه مِنْهُ، كونهُ قد أحدثَ البَينَ الحقيقي ومنعُ الوِصالِ، بَعْدَ ما كانَ يعتقدُهُ بيّناً وفِراقاً، وقد عانى مِنْهُ أيَّاماً وسنينَ آملاً بعدَ ذلكَ الوصالَ. هو توظيف الشاعر للتركيب الاسمي الدال المحوَّل والمنزاح بـ "هلاَّ" التي مِنْ دلالاتها التنديم[٨١] واللوم[٨٢]، ومِنْ وظائفها تحويلُ التركيب بخصائصهِ ودلالاتهِ مولِّدةً مِنْهُ تركيباً جديداً بخصائص ودلالات وأغراض جديدة. فقد صوَّر الشاعِر بِها ما كانَ يتردَّدُ في أحشائِهِ مِنْ مشاعر وأحاسيس هائجة وثائرة، قد أثارها الموتُ، كونُهُ قد سَلَبَ آمالَهُ التي كان ينتظرُ تحقيقها سنينَ، وقد آيسَ مِنها، والتركيبُ هو: هلاَّ فِداكَ الموتَ. والذي يبدو أنَّ الأصل في التركيب هو: هلاَّ كان فِداكَ الموتَ. والمعنى على وجهِ اللوم والتنديم هو: كان ينبغي أنْ يكونَ الموتُ فداكَ. فقد كثَّفَ الشاعرُ مشاعره في تلك الأداة وتمكَّنَ مِنْ التنفيس والتفريغ بها منْ خلالها بإلقاء اللوم على الموت وتنديمِهِ جراءَ فِعْلِهِ الذي فَعَلَهُ تجاههُ وتجاهَ أحبَّ ما كانَ عِندهُ. وبِشأنِ ذلك التقدير في التركيب الذي دخلتْهُ "هلاَّ"، هو لأجلِ كونِ "هلاَّ" كما يقولُ النحويونَ إنَّها:" حرفُ تخضيض، لا يليهِ إلاَّ فِعلٌ، أو معموله... وذهبَ بعضُهُم إلى جوازِ مجيءِ الجملة الابتدائية، ويؤولُ البعض إضمار "كان" الشأنية،... والبعضُ الآخرُ يؤولُ "كان" التامة"[٨٣]. وقيل أيضاً إنَّ:" معناها التحضيض، ولا يليها إلاَّ الفعلُ مُظهراً أو مضمَراً لاختصاصها بها"[٨٤]. الذي يبدو أنَّ هو أنَّ وظيفة اللغة التي هي التواصل بالتعبير عنِ المشاعر والأحاسيس التي هي حاجات الإنسانِ

وأغراضه الأساسية في الحياة، تؤديها الأدوات بأشكالها وأنماطها ووظائفها المختلفة، والكلمات بأشكالها وأنماطها ووظائفها المختلفة، ولكنَّ الكلَّ داخل كُلٍّ ألا وهو التركيب. بالإضافةِ إلى ما سبَقَ فإنَّ لِـ "قدْ" كونها ملمحاً بارزاً مِنْ ملامحِ الدلالة الزمنية وظيفة مهمة في بيانِ الثنائية التقابلية فهي" حرفٌ يُقرِّبُ الماضي مِنَ الحال"(٨٥). فتوحي بِخيالِ الشاعِرِ لِماضيهِ الذي يُضيءُ عتمةَ الحضور لهُ. هذا ما يُلتمسُ مِنْ التراكيب التي دخلتْ فيها "قدْ" على الفعل الماضي، ومِنْ هذه التراكيب:" وقد كُنتُ أبكي"، و" قد حالَ دونها "، و" فقد كادَ مجرى الدمعِ عيني". وهذا ما يؤدي إلى أنَّ العلاقاتِ الكامِنةِ بينَ المكونات النحوية داخل التراكيبِ مبنيةٌ على أساس المعنى أو الغرض (٨٦). وعلى الرغم مِمَّا سبقَ فإنَّ الشاعِرِ مِنْ بَعْدِ اللومِ والتنديمِ يأتي ليُجدِّدَ العهد الذي قد عاهدهُ لـ "عَزَّةَ" في نفسِهِ، والآنَ قد حانَ أنْ يُصرِّح بِهِ، وهي مُصغيةٌ إليهِ تسمعُ كلامَهُ اعتقاداً مِنهُ، مستعمِلاً في ذلك التركيب الفعلي المحوّل والمنزاحِ بـ "ما، وإلاَّ" اللتينِ أكسبتا التركيبَ، النفي والتخصيص(٨٧) بالاستثناء المولَّدِ مِنْ وظيفتيهما، وذلك لأجلِ أنْ يحقِّقَ الشاعر بذلِك التركيب المولَّدِ غرضينِ لَهُ، وهما: نفي إحداث فعل النظرِ بعينيهِ إلى أناسٍ مِنَ النساءِ كُنَّ يتمتعْنَ بالبشاشةَ التي هي محلُّ التلذُّذِ للعينِ والقلبِ، بعدما وقعتْ نظرة عينيهِ المُلتذَّةِ عليها خاصةً دونَ غيرِها. ومنْ ثمَّ تخصيصُ "عزَّةَ" مِنْ بينِ أولئكَ النساءِ، لأنَّها كانتْ في العينِ أملحُ. وقد استعملَ الشاعرُ العينَ مِنْ بينِ الحواس، لأنَّ حاسةَ البصرِ هي الأولى مِنْ بينِ الحواس لأنْ يتلذَّذَ بِها الإنسان أيَّ لذَّةٍ كانتْ، كونها مَنْفَذُ الإحساسات كُلِّها. وقدْ قيل:" إنَّ شهوةَ القلبِ مُمتزجةٌ بلذَّةِ العينِ فإذا رأتِ العينُ اشتهى القلب"(٨٨). والتركيب الذي وظَّفَهُ الشاعرُ لخدمةِ غرضهِ وتصويرِ مشاعرِهِ تجاهَ فِراقِ عشيقتِهِ هو: وما نظرتْ عيني إلى ذي بشاشةٍ، مِنَ الناسِ إلاَّ أنتِ في العينِ أملحُ. أي أنَّهُ على الرغم مِنْ وجودِ أوجهٍ بشوشة مِنْ جنسِ النساءِ ما يُثِرْنَ العينَ والقلبَ إلاَّ أنَّ عينيِّ الشاعر لمْ تستجِبْ لأولئكَ البشوشاتِ إلاَّ لها، كونها كانتْ أملحُ في عينيهِ. أمَّا ما أرادَ الشاعر مِنْ غرضٍ في إيرادِ التركيب الفعلي الآتي المحوَّل بـ "ألا، ولا"، والذي قد تلا التركيب الفعلي السابق المحوَّل بـ "ما، وإلاَّ"، والذي حوَّل بهِ اتجاهَ خطابهِ مِنْ خطابهِ مَعَ عشيقته إلى الخطابِ معَ نفسِهِ، فلأجلِ أنْ يقرِّرَ ويثبِّتَ ويصدِّق بهذا التركيب العهد الذي أودَعَهُ في التركيب السابقِ مَعَ نفسِهِ أوَّلاً، وصَرَّحَ بهِ لـ "عزَّةَ" ثانياً، لأنَّ في "ألا" التي وظفَّها الشاعر

في كلامِهِ، والتي هي أداة استفتاح وتنبيهِ[٨٩] في هذا السياق دلالة التحقيق والإثباتِ للكلام السابق والكلام اللاحق[٩٠]. فكأنَّ الشاعر يقولُ لنفسهِ بَعْدَ إقراره بالعهدِ، "نعم"[٩١] ـ وهو الجوابُ المُستمدّ مِنْ "ألا"ـ لا أرى، وأنَّهُ مِنَ المُستحيلِ أنْ أرى بَعْدَ ابنةِ النَّضْرِ لذَّةَ لشيءٍ، ولا أنْ أرى مِلْحاً لَمَنْ يتملَّحُ. الذي يؤيد بأنَّ "ألا" قَدْ أفادتْ دلالة التحقيق والتصديق والإثبات للكلامِ السابقِ، وأنَّها هي للاستفتاحِ والتنبيه، هو وُرودُ "لا أرى" التركيب الفعلي المنفي الذي يُؤكِّدُ ويضفي دلالة الاستمرارية والتجدُّدِ لعدمِ نقضِ العهدِ الذي تمثَّل في التركيب الفعلي "ما نظرتْ عينيَّ"، أي ما نظرتُ فيما مضى وسأبقى غيرَ ناظرٍ. بالإضافة إلى وُرودِ عبارة "ابنة النَّضْرِ" التي كنى بها الشاعر عنْ "عَزَّة" تعظيماً وتمجيداً وإجلالاً وافتخاراً بأصلها ومكانتها. كون "النَّضْر" أبو قريشٍ، وهو "النَّضْرُ بن كنانة بن خريمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر"[٩٢]. وقيل: النَّضْرُ بن كنانة أبو قريش خاصة، مَنْ لمْ يلِدْهُ النَّضْرُ فليسَ مِنْ قريشٍ[٩٣]. أو أنَّهُ قد أرادَ بـ "ابنة النَّضْر" ابنة الحُسْنِ والرونق والجمال، أو ابنة الخالص مِن كُلِّ شيءٍ، أو ابنة المصنوعة مِنَ الذهبِ الخالِصِ، لأنَّ كلَّ ذلك مِنْ معاني "النَّضْر"[٩٤]. والذي يؤيد هذا الرأي أنَّهُ قد أشار في التركيب السابق على هذا التركيب إلى حُسْنِ وجمال وبشاشة عشيقته، وإلى لِينِها ونعومتِها كادَتْ يجرحُها حواشي بُردِها، أي أنَّ الشاعر أرادَ بِقولِهِ "ألا لا أرى..." أنَّهُ مِنَ المستحيلِ أنْ يتمكَّنَ مِنْ أنْ ينظر مِنْ بعدِ هذا الحُسْنِ والجمالِ إلى أحدٍ لِلذَّةٍ ما. كُلُّ ما سَبَقَ كانَ مشاعر وأحاسيس مُعبَّرة مِنَ الشاعر ينوي بِها أنْ يثبتَ لعشيقتهِ ـ التي يعتقدُ الشاعر أنَّها مُصغيةٌ إليهِ تسمعُ كلامَهُ وتتحسَّسُ بإحساسِهِ ــ مدى تعلُّقِهِ بِها ومدى ما عانى لأجلِها ومدى ما يُحبُّها ويعشقها، حتى أنَّهُ يظلُّ معاهِداً لها كما كان مُعاهِداً. كما أنَّهُ يأتي ليُثْبِتَ لها حُبَّهُ مُستخدِماً التركيب الاسمي المحوَّل والمنزاحِ بـ "لازال" التي تدُلُّ معَ أخواتها المسبوقاتِ بالنفي إثبات معنى الخبرِ واستمرارِهِ[٩٥]. بالإضافة إلى إضفائها معنى الدعاء إلى ذلك التركيب في هذا السياقِ. والتركيب هو: فلا زالَ رَمْسٌ ضمَّ عَزَّةَ سائلاً، بِهِ نِعمةٌ مِنْ رحمةِ اللهِ تُسفحُ. فقدْ أرادَ الشاعرُ الذي لا يمتلكُ شيئاً لأجلِ حبيبتهِ فيما بعدُ، أنْ يثبتَ لها حُبَّهُ بالدعاء لها، فهو يدعو بأنَّ القبرَ الذي يستمِرُ بضمِّ "عزَّة" فيما بعد أنْ يكونَ سبباً لانصباب النعمة مِنْ رحمةِ اللهِ على حبيبتهِ باستمرارٍ طوالَ ضمِّهِ إياها في حُضْنِهِ. وفيما بعدَ هذا التركيب الذي أفادَ الدعاءَ، يبدأ ندبُ الشاعر لحبيبتِهِ، أي

قد تحوَّل بكاءَهُ إلى بكاءُ الفراقِ الحقيقي، بَعْدَ أنْ كانَ بُكاءَهُ بكاءُ فراقٍ لأجلِ الوصالِ. إلاَّ أنَّ بُكاءَهُ اليومَ هو بكاءُ اليأسِ، كأنَّ الشاعر لم يُدركْ حقيقةَ ذلكَ الفِراقِ إلاَّ بَعْدَ أيامٍ قدْ مَضَتْ على فراقِ حبيبتِهِ، هذا ما يُثْبِتُهُ التركيب الاسمي المحوَّل والمنزاحِ بـ "إنَّ" التي تفيد التوكيد والتحقيق[٩٦]، وهو: فإنَّ التي أحببْتُ قدْ حالَ دونها، طوالُ الليالي والضريحُ المصفَّحُ. فكأنَّ خبرَ رحيلِ حبيبتِهِ أصبحَ الآنَ حقيقةً مؤكَّدة. والذي يبدو هو أنَّ الأبيات الثلاثة الأخيرة مِنْ مرثية الشاعر قد نظَّمها الشاعرُ بَعْدَ أيامٍ مِنْ فراقِ حبيبتِهِ، فما يؤيدُ ذلك هو استخدام الشاعر وتوظيفهِ لألفاظٍ تُعدَّ قرائن جيدة لأنْ نُقِرَّ بهذهِ الحقيقةِ ومِنْ تلك القرائن والألفاظ "طوالُ الليالي"، و"الضريحُ المصفَّحُ". فإنَّ مثل تلك الألفاظ والعبارات لا تُطلقُ إلاَّ بَعْدَ مرورِ أيامٍ على الرحيلِ، ومعايشة الشاعر لآلامِ الفراقِ وأحزانِهِ والإحساس بالغربة والوحشة والوحدة مِنْ دونها. كذلك فإنَّ استخدامَ الشاعر للتركيب الفعلي الذي يُعدَّ تتمَّةً لدلالة التركيب السابق، يُعدُّ قرينةً أُخرى تُثبتُ صحةَ قولنا، وهو: أدَبَّ بِعينيَّ البُكا كُلَّ ليلةٍ، فقد كادَ مجرى الدَّمعِ عينيَّ يفْرَحُ. بالإضافة إلى التركيب الاسمي المحوَّل والمنزاحِ بـ "إذا لمْ يكُنْ"، وهو: إذا لمْ يكُنْ ما تَسْفَحُ العينُ لي دَمَاً وشَرُّ البُكاءِ المُستعارُ المُسيَّحُ. كلُّ ذلك يُعدُّ قرائن تُعيِّنُ وتؤكِّدُ صحةَ ما سبقَ القول. وهو أنَّ الشاعر قد بدأ أحزانهُ وآلامهُ ويأسهُ وغربتهُ ووحشتهُ ويأسهُ واشتياقهُ بَعْدَ أيامٍ مِنَ الفراقِ، حينذاك تبدأُ الأحزانُ، ويفتحُ لهُ اللاشعور صفحاتُ الذكريات السارة والمُرَّة لِتصبحَ خيوط محاكاةِ مرثيتهِ، وتواجِهُهُ حينذاكَ موجاتٌ مِنَ المثيراتِ والدوافعِ تُثيرُ فيهِ مشاعرهُ وأحاسيسهُ وانفعالاتهُ. هكذا يكونُ حالُ العشاق. فقد قيل:" مِسكينٌ العاشقُ، كلَّ شيءٍ عدوّهُ: هبوب الرياحِ يُقْلِقُهُ، ولمعان البرق يؤْرِقهُ، والعذْلُ يؤلِمهُ، والبُعْدُ ينحلهُ، والذكر يسقمهُ، والقربُ يهيجُهُ، والليلُ يضاعفُ بلاءَهُ، والرقادُ يهرُبُ منهُ. ورسومُ الدارِ تُحرقهُ، والوقوفُ على الطلولِ يُبكيهِ"[٩٧]. بالإضافة إلى ما سبقَ فإنَّ ما يُستوحى مِنْ مرثية الشاعر كخصائص تميَّزَ بها الشاعر، هو أنَّ الشاعرَ كان مِنَ الشعراءِ العُذريينَ في ذلك العصر، كونُهُ لمْ يستعملْ فيما قدَّمه ما هو مشينٌ ومُخلٌ بحرماتِ عشيقتهِ، وهذا إيحاء بشيءٍ وهو أنَّ الشاعر كان ملتزماً بمبادئ دينِهِ الحنيف الذي حرَّمَ الاستهانة والاستخفاف والهتك بحرماتِ الإنسانِ لاسيَّما المرأة. فقد تميَّزَ الشاعرُ بالاعتدال والوسطية في عقيدتِهِ، فلمْ يستعملْ ما هو مُخِلٌّ بعقيدتهِ. كما قد تجلَّى ذلك الاعتدال في أنَّهُ لمْ يكنْ مائلاً لا إلى الانفعالِ الشديدِ، ولا إلى

التصبُّرِ التام، بلْ كانَ متوسِّطاً بينهما. وهذا ما قد اقتضاهُ واستدعاهُ المقام، لأنَّهُ أرادَ أنْ يُثبِتَ لعشيقتهِ ما قد عاناهُ بَعْدَ فراقِهِ مِنَ الألم والحزنِ والاكتئاب.

أمَّا ما قدْ بدى بشأنِ تلك التراكيب التي حملَتْ عبأ ما قدْ حملَهُ الشاعِرُ في هذه المرثيةِ مِنْ آلامٍ وأحزانِ الفراقِ، هو أَنَّ للتحويل أو الانزياحِ الجاري على البنى التوليدية للتراكيب، لاسيَّما الذي تؤديهِ الأدوات بأنماطها المختلفة أهميتهُ في التوسُّعِ بوظيفة اللغة التعبيرية والتواصلية، إذ لولاهُ لَما تمكَّنَتِ اللغةُ مِنْ أداء وظيفة تحقيق أكثر الحاجاتِ والأغراض التي ما هي إلاَّ مشاعر وأحاسيس بشرية. هذا ما كان على مستوى التركيب، أمَّا التحويلُ أو ما يُسمَّى بالاشتقاق على مستوى البنى المفردة فلهُ أهميتهُ في تحقيق حاجات وأغراض الشاعر الشعورية التي لا يُمكِنُ أنْ تُحقِّقَها ألفاظ أُخرى غير المشتقة أو أنَّها تكونُ قاصرةً لولا ذلك الاشتقاق فمِنَ المشتقاتِ التي حققتْ للشاعر مشاعرَهُ المتفائلة والميؤوسة، والتي لولا توظيف الشاعر لها لَما تحققتِ الغايةُ التي كان يرجوها: سِراجُ، مُنْتهى، المُنى، نوَّامةٌ، النزيفُ، المُرنَّحُ، فتلاءُ، صَيْدَعُ، أنأى، أنْزَحُ، رجيعُ، الضَّريحُ، المُصَفَّحُ، المُستعارُ، المُسيَّحُ. وهذا يعني أنَّ اللغة العربية مبنية على التحويل والاشتقاق والانزياح.

الخاتمة والنتائج:

ـ أمَّا ما يخصُّ أهم ما توصَّل إليهِ البحثُ، فيتجلَّى فيما يلي مِنْ نتائج:

١ – الإنسان منظومةٌ مِنَ الغرائِزِ، وكتلةٌ مضغوطةٌ وكامِنة مِنَ الحاجاتِ والأغراضِ التي تنبعِثُ مِنها المشاعِرُ والأحاسيس والعواطفِ بِما يُحفِّزها الدوافع والمثيرات، ولمْ تكنْ أروعَ مِنَ اللغة لِتصبحَ سفيراً وممثِّلاً لِتلك المنظومةِ، لِما تمتلِكهُ مِنَ القدرات الكامِنة المستجيبة ومنفعلةً لِكلِّ فعالياتها، لأنْ تُحقَّقَ أو تصوَّر وتعبَّر عنها.

٢ – ما تصورهُ اللغة مِنْ حاجاتِ الإنسانِ وأغراضِهِ، وما تنبعِثُ مِنْ تلك الحاجاتِ والأغراض مِنْ مشاعِرِ وأحاسيس سالِبة كانتْ أو موجبة، فيُسمَّى بالسلوك المؤدَّى بالسلوك اللغوي، الملفوظ أو المكتوب.

٣ – السلوك اللغوي، هو السلوك المُجسِّد لِسلوكياتِ الإنسان، وهو المترتِّبُ والمُجسَّدُ بِعناصِرِ اللغة المستقرَّة والمؤلَّفة ضِمنَ ما يُسمَّى بالتركيبِ الدالِ وهو الحيزُ المُجسِّد لِصورةِ أي سلوكٍ بِتمامِهِ، وذلك لِما يمتلِكهُ مِنْ قدرةِ الاحتواءِ لِدقائِق السلوك.

٤ – إنَّ أي تركيب دال هو صورةٌ لِسلوك، وأي نمطٍ مِنْ أنماطِهِ هو استجابةٌ لِمقتضيات الأحوالِ التي هي تمظهرٌ للحاجاتِ والأغراضِ التي تستدعيها المقامات والظروف والملابسات المحيطة بالإنسانِ. أي أنَّ كُلَّ ما يُحدِثُهُ الإنسانُ مِنْ سلوكيات فقائِمةٌ على مبدأ الاقتضاءِ.

٥ – إنَّ إمكانية اللغة وإمكانية تلك التراكيب اللغوية الدالة لِسلوكيات الإنسانِ التي لا تُحصى، فعائِدة إلى إمكانية عناصِرها مِنَ الكلمات والأدوات التي ما هي إلاَّ كُتلاً مضغوطةً مِنْ حاجات إنسانية، بالإضافة إلى خصائِصِها الوظيفية المتعدِّدة والمختلفة التي تكتسِبها مِنَ الاشتقاقِ، ومِنَ السياقِ المستدعي لذلك.

٦ – الحُبُّ مِنْ أقوى ما عند الإنسانِ مِنَ القِوى الغريزية المحفِزة لِتمظهر السلوك الاجتماعي في الإنسانِ، والعِشقُ مِنْ أشدِّ مراتِبِ الحُبِّ دعوةً للتواصلِ واللقاءِ الاجتماعي بينَ بني البشرِ، لاسيَّما بينَ الرجلِ والمرأةِ.

٧ – العِشقُ مِنْ أشدِّ ما يُصيبُ الإنسانَ مِنَ الأدواء النفسية، لِذا فإنَّ مرثيات العُشَّاقِ تعدُّ مِنْ أوسعِ أنسجة الشِعر امتلاءً بالمشاعر والأحاسيس والعواطف والانفعالاتِ، كونُ العُشَّاقِ مِنْ أكثرِ أصنافِ المجتمعِ مُلابسينَ بالمكابِدِ والعناء والشقاء، وتتصاعُد تلك

الأحوالُ بلْ وتصلُ إلى أسوئِها عندَ أحدِ العشيقينِ حينَ يحلُّ الموتُ ويلقي البينَ والفرقة بينهما، فهذا ما ينعكِسُ لامحالةَ على أحوالِ العُشاقِ النفسية، وبالتالي على ما يتنفسونهُ مِنْ سلوكيات عبْرَ السلوك اللغوي الذي يُنشئونَ بِهِ مرثياتهم.

٨- العِشقُ مِنْ أشدِّ ما يُصيبُ الإنسانَ مِنَ الأدواء النفسية، لِذا فإنَّ مرثيات العُشَّاقِ تعدُّ مِنْ أوسعِ أنسجة الشِعر امتلاءً بالمشاعر والأحاسيس والعواطف والانفعالاتِ، كونُ العُشَّاقِ مِنْ أكثرِ أصنافِ المجتمعِ مُلابسينَ بالمكابِدِ والعناء والشقاء، وتتصاعُد تلك الأحوالُ بلْ وتصلُ إلى أسوئِها عندَ أحدِ العشيقينِ حينَ يحلُّ الموتُ ويلقي البينَ والفرقة بينهما، فهذا ما ينعكِسُ لامحالةَ على أحوالِ العُشاقِ النفسية، وبالتالي على ما يتنفسونهُ مِنْ سلوكيات عبْرَ السلوك اللغوي الذي يُنشئونَ بِهِ مرثياتهم.

٩- لا تستغني المشاعِرُ والأحاسيسُ والعواطفِ التي يُجسِّدها السلوك اللغوي المتمثِّلِ في التراكيبِ الدالة، في أي موقفٍ حياتي ملابِس للإنسانِ، عِنْ أصغر وحدة أو عنصر لغوي لِتحمِلها أجزاءً مِنْ صورتِها بِحسبِ وظيفة تلك الوحدة أو ذلك العنصر المُشارِك في عملية تجسيد تلك الصورة، صوتاً كان أو أداةً أو كلمةً، ففي كُلِّ تركيبٍ وفي كُلِّ عبارةٍ، وفي كلِّ كلمةٍ أو أداةٍ أو صوتٍ، فهناك شعورٌ وإحساس.

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

هوامش البحث

(١) مبادئ علم النفس، د. ليلى داود: ١٢٩، ١٣٠.

(٢) ابن سينا والنفس الإنسانية، أ. د. محمد خير حسين عرقسوسي: ١١٩.

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مسكويه : ٨٤. وينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة : ٢٣٥. وينظر: رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في الحيلة لدفع الأحزان : ٦.

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان : ١/٨٠.

(٥) فنُ الشعر، أرسطو:١٢٣.

(٦) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي :٣/١٠٤. وينظر: شعر رثاء العربي واستنهاض العزائم :٧،٨.

(٧) الدلالة التركيبية لدى الأصوليينَ في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد علي فالح مقابلة: ٥٥ .

(٨) أثر الوقف على الدلالة التركيبية، د. محمد يوسف حبلص: ٦٧ ، ٦٨ .

(٩) المصدر نفسه: ٦٧ ، ٦٨ .

(١٠) لسان العرب: مادة حَبَبَ: ٤/ ٦.

(١١) الحُبُّ والفناء، تأملات في المرأة والعِشقِ والوجود: علي حرب: ٨.

(١٢) الحُبُّ، عمر رضا كحّالة: ٧.

(١٣) المصدر نفسه: ٧.

(١٤) المصدر السابق: ٢٢.

(١٥) روضة المحبينَ ونزهة المشتاقينَ، ابن قيم الجوزية: ٢٨.

(١٦) المصدر نفسه: ٢٧.

(١٧) روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: ٣٣٦.

(١٨) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ٣٣.

(١٩) سيكولوجية الحبِّ والحرمان، كايد الشايب: ٩.

(٢٠) المصد نفسه: ٣٣.

(٢١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ٣٣.

(٢٢) الحُبّ: ٢٢.

(٢٣) المصدر السابق: ٥٩.

(٢٤) سيكولوجية الحب والحرمان: ٢٩. وينظر: الحُبِّ الرومانسي بينَ الفلسفة وعلم النفس، فارس كمال نظمي: ٢١.

(٢٥) سيكولوجية الحب والحرمان: ١٠.

(٢٦) سيكولوجية الحب والحرمان: ٢٨.

(٢٧) روضة التعريف بالحب الشريف:٣٤٠.

(٢٨) لسان العرب:١٠/ ١٦١.

(٢٩) سيكولوجية الحب والحرمان: ٢٨.

(٣٠) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ١٤٥/٢.

(٣١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٤٥/٢.

(٣٢) سيكولوجية الحب والحرمان: ٢٨.

(٣٣) الحُبّ: ٢٣.

(٣٤) المصدر نفسه: ٣١.

(٣٥) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٤٠/٢، ١٤١.

(٣٦) المصدر نفسه: ١٤٢/٢.

(٣٧) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٤٢/٢.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٦٣.

(٣٩) الحُبَّ: ٢٧.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢٧.

(٤١) المصدر نفسه: ٢٧.

(٤٢) ومن هذه الأسماء "المحبَّةُ، والعلاقةُ، والهوى، والصَّبْوةُ، والصَّبابةُ، والشَّغَفُ، والمِقَةُ، والوَجْدُ، والكَلَفُ، والتَّتَيمُ، والعشقُ، والجوى، والدَّنفُ، والشَّجْو، والشَّوْقُ، والخِلابة، والبلابِلُ، والتباريحُ، والسَّدَمُ، والغَمراتُ، والوَهَلُ، والشَّجَنُ، واللاعج، والاكتئاب، والوَصَبُ، والحُزْنُ، والكَمَدُ، واللَّذْعُ، والحُرَقُ، والسُّهَدُ، والأَرَقُ، واللَّهَفُ، والحنينُ، والاسْتِكانة، والتَّبالة، واللَّوْعة، والفتُونُ، والجُنون، واللَّمَمُ، والخَبَلُ، والرَّسِيس، والداء المخامِرُ، والودُّ، والخُلَّةُ، والخِلْمُ، والغرام، والهُيام، والتَّدْلِيهُ، والوَلَهُ، والتَعبُدُ". يُنظر: روضةُ المحبينَ ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية: ٢٥، ٢٦.

(٤٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ٢٥. وينظر: روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: ٣٣٤.

(٤٤) الحُب: ٢٥.

(٤٥) المصدر نفسه: ٢١.

(٤٦) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٦١/٢.

(٤٧) المصدر نفسه: ١٦٣/٢.

(٤٨) سيكولوجية الحب والحرمان: ٤١.

(٤٩) الحُب: ٢٧.

(٥٠) ديوان كُثيِّرُ عَزة: ٤٦٣ – ٤٦٥.

(٥١) صِفْرُ الحشا: الذي يبدو أنَّهُ وصفٌ يطلق على مَنْ كان ضامِرَ البطن، أو الخصر، وهو كناية عنْ رشاقتها.

(٥٢) تخزَّلَ: مِنْ خَزَلَ، الخَزَلُ والتخزُّلُ والانخزال، مشيةٌ فيها تثاقل وتراجع، أو التبختر في المشي. ينظر: لسان العرب: ٥/ ٦١، ٦٢. النزيف: السكران. ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٢٣٥، ٢٣٦. المُرَنَّحُ مِنْ ترَنَّحَ: إذا تمايل منَ السُّكر وغيرِه، وترنَّح إذا مال واستدار، وقد يكون ذلك مِنْ همٍّ وحُزنٍ. ينظر: لسان العرب: ٦/ ٢٣٦.

(٥٣) رُوْدُ: مِنْ رَأَدَ: الرَوْدُ مِنَ النساء الشابة الحسنة. لسان العرب: ٦/ ٥٨.

(٥٤) النَّضْو: مِنْ نضا، النَّضْو بالكسر: الهزالُ. لسان العرب: ١٤/ ١٨٤، ٢٨٥. رمسّ: مِنْ رَمَسَ الشيءُ رَمْساً طَمَسَ أثرهُ، ورَمَسَهُ: دَفنه وسوَّى عليهِ الأرضَ، والرمسُ: القبرُ. لسان العرب: ٦/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٥٥) فتلاءُ: مِنْ فَتَلَ: الفَتْلُ ليُّ الشيءِ كَلَيِّكَ الحبل، وكفتلِ الفتيلة، وقيل: الفتلُ ما بينَ المِرْفقينِ عنْ جنبي البعيرِ. لسان العرب: ١١/ ١٢٥. صَيْدحُ: مِنْ صَدَحَ: وهو رفعُ الصوتِ بغناءٍ أو غيرِه. لسان العرب: ٨/ ٢٠٧.

(٥٦) أَنْزَحُ: منْ نَزَحَ: بَعُدَ. لسان العرب: ١٤/ ٢٣٢.

(٥٧) رجيعُ: مِنْ رَجَعَ: وهو كلُّ شيءٍ مُردَّدٍ مِنْ قولٍ أو فعلٍ فهو رجيعٌ. لسان العرب: ٦/ ١٠٨.

(٥٨) زَيْنُ: مِنْ زيَّنَ: الزَّينُ: خلاف الشَّيْنِ. لسان العرب: ٧/ ٩١.

(٥٩) النَّضْر: قيلَ: هو أبو قريش، وهو النَّضْرُ بن كنانة أبو قريش خاصة. لسان العرب: ١٤/ ٢٨٢.

(٦٠) الحُبّ: ٣١.

(٦١) مشكلات فلسفية، مشكلة الحُبّ، د. زكريا إبراهيم: ١٤٤.

(٦٢) ديوان كُثَيِّر عَزَّة: ٤٦٢، ٤٦٣.

(٦٣) الحب مقدمة وجيزة، رونالد دي سوزا: ٢٠.

(٦٤) الحُبُّ والفناء، تأملات في المرأة والعِشقِ والوجود:١٧.

(٦٥) Rubin,Z.(1970). Measurement of Romantic love. Jouranl of personality & social psychology, vol 16, No 2, pp. 265-273.

(٦٦) مشكلات فلسفية، مشكلة الحُبّ: ١٣٣، ١٣٤.

(٦٧) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٢٦٣.

(٦٨) ظاهِرة الحذف في الدرس اللغوي، د. ظاهِر سليمان حمودة: ٤.

(٦٩) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبدالله محمد الجيوسي: ٣١٣. وينظر: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٧٥. ٩٢.

(٧٠) البيان والتبيين، الجاحظ: ١/ ٧٤.

(٧١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٠٠.

(٧٢) شرح الكافية الشافية، ابن مالك: ١/٩٣.

(٧٣) الحُبّ: ٦١.

(٧٤) الحُبّ:٩.

(٧٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ٢٧٥.

(٧٦) المصدر نفسه: ٢٧٢.

(٧٧) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهِر الجرجاني: ١٤.

(٧٨) النص الأدبي وقضاياهُ عند ميشال ريفاتار، وجون كوهين: ١٧٤.

(٧٩) المرأة والشِعر، نِقولا فيَّاض: ٨.

(٨٠) Poetry in France: Jean Steworth Iondon: 1951: p.151.

(٨١) مفتاح العلوم، السكاكي: ٤١٨.

(٨٢) اللغة والدلالة، يوسف مارون: ٣٥٠.

(٨٣) الجنى الداني في حروف المعاني:٦١٣، ٦١٤.

(٨٤) معاني الحروف، الرماني: ١٣٢.

(٨٥) الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٥٥.

(٨٦) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٩٦. ١٣٤.

(٨٧) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ٢/ ٤٦.

(٨٨) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ١٢٥.

(٨٩) معاني الحروف: ١١٣. وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٠٩. اللغة والدلالة: ٥٣.

(٩٠) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٠٩. اللغة والدلالة: ٥٣.

(٩١) نَعَمْ: هي حرفُ جوابٍ، وهي لِتصديقِ مُخبِرٍ، أو إعلامِ مُستخبِرٍ، أو وعدِ طالِبٍ. ينظر: الجنى الداني:٥٠٥، ٥٠٦. ومعاني الحروف:١٠٤.

(٩٢) لسان العرب: ١٤/ ٢٨٢.

(٩٣) المصدر نفسه: ١٤/ ٢٨٢.

(٩٤) ينظر: لسان العرب: مادة نَضَرَ: ١٤ /٢٨١، ٢٨٢.

(٩٥) شرح المفصل للزمخشري: ٤/ ٣٦٣. وينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١/ ٢٢٠.

(٩٦) معاني الحروف: ١١٠.

(٩٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ٤/ ١١٣.

المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم

١- ابن سينا والنفس الإنسانية، أ. د. محمد خير حسين عرقسوسي، والأستاذ: د. حسن ملا عثمان، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط: ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢- أثر الوقف على الدلالة التركيبية، د. محمد يوسف حبلص، دار الثقافة العربية/ القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تعليق: السيِّد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط: ١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي "ت ٧٩٤هـ"، تحقيق: د. زكي محمد أبو سريع، دار الحضارة للنشر و التوزيع/ الرياض، ط: ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥- البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني"، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع- الأردن، ط:٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦- البيان والتبيين، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "ت٢٥٥هـ"، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير/ القاهرة ، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، ط:١، ٢٠١٠م.

٧- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى/ مصر، ط:١، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

٨- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مراجعة وتعليق: د. شوقي ضيف، دار الهلال القاهرة، "د. ط"، "د. ت".

٩- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمّار/ عمان - الأردن، ط:٥، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١٠- التعبير القرآني، والدلالة النفسية، د. عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية/ دمشق - سوريا، ط:٢، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

١١- التحرير والتنوير، الأمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر/ تونس، ١٩٨٤م.
١٢-تهذيب الأخلاق، وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه "ت٤٢١هـ"، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل/ بغداد – بيروت، ط:١، ٢٠١١م.
١٣- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخرالدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان، ط:١، ١٩٩٢م – ١٤١٣هـ.
١٤- الحُبّ الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، فارس كمال نظمي، دار ئاراس للطباعة والنشر، ط:١، ٢٠٠٧م.
١٥- الحُب، عمر رضا كحالّة، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
١٦- الحُبّ مقدمة وجيزة، رونالد دي سوزا، ترجمة: رندة بعث، مراجعة: رباب عبيد، هيئة البحرين للثقافة والآثار/ المنامة، ط:١، ٢٠١٨م.
١٧-الحبُّ والفناء، تأملات في المرأة والعشق والوجود، علي حرب، دار المناهل، للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١،١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٨-دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني "ت٤٧١هـ "، تحقيق: الدكتور عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ٢٠٠١م.
١٩- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم، د. نافع علوان بهلول الجبوري، دار الكتب والوثائق العراقية/ بغداد ، ديوان الوقف السني، ط:١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٢٠- ديوان كُثيِّر عَزَّة، جمعه وشرحَهَ، د. إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع/ بيروت –لبنان، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
٢١- ديوان ليلى الأخيلة، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، جليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، "د. ط"، "د. ت".
٢٢-الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب الأصفهاني"ت٥٠٢هـ"، تحقيق ودراسة: أ. د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة/ القاهرة، ط:١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٢٣- رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في الحيلة لدفع الأحزان، مخطوط أيا صوفيا، رقم ٤٨٣٢، ورقة ٢٣أ -٢٦ب.

٢٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني، الإمام أحمد بن عبدالنور المالقي "٧٠٢هـ"، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق.

٢٥- روضة التعريف بالحُبِّ الشريف، محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني المعروف بـ" لسان الدين بن الخطيب "ت٦٨٣هـ"، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر العربي للطبع و النشر.

٢٦- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب قيم الجوزية "ت٧٥١هـ"، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفؤاد للنشر والتوزيع/ مكة المكرمة، ط:١، ١٤٣١هـ.

٢٧- سيكولوجية الحب والحرمان، كايد الشايب، دار فضاءات/ عمان، ط:١، ٢٠٠٢م.

٢٨- شرح أبيات سيبويه، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي "٣٨٥هـ"، تحقيق: د. محمد علي الرَّيَّح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ القاهرة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمَّى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف: محمد محي الدين عبدالحميد، تحقيق: عادل عبدالمنعم أبو العباس، دار الطلائع/ القاهرة ٢٠١٤م.

٣٠- شرح الكافية الشافية، تأليف: جمال الدين بن محمد بن مالك بن عبدالله، تحقيق: أحمد بن يوسف القادري، دار صادر/ بيروت -لبنان، ط: ٢، ٢٠١٠م.

٣١- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي "ت٦٤٣هـ" تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٢- شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، د. عبدالرشيد عبدالعزيز سالم، وكالة المطبوعات - عبدالله حلامي/ الكويت، ط: ١، ١٩٨٢م.

٣٣- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر/ الأسكندرية، "د.ت".

٣٤- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير/ القاهرة ، ط:١، ٢٠١٣م.
٣٥-فن الشعر، أرسطو، ترجمة: د. إبراهيم حمادة، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.
٣٦-الكتاب، سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "ت ١٨٠هـ"، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٨م.
٣٧- في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، د. خليل عمايرة، عالم المعرفة/ جدّة للطبع والنشر، ط. ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٨- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني "ت٤٧١هـ"، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام- العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
٣٩-لسان العرب، الإمام العلاّمة أبي الفضل جمال الدّين محمَّد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري"ت٧١١هـ"، دار صادر بيروت.
٤٠- اللغة والدلالة، د. يوسف مارون، المؤسسة الحديثة للكتاب/ طرابلس - لبنان، "د. ط" ٢٠٠٧م.
٤١-مبادئ علم النفس، د. ليلى داود، منشورات جامعة دمشق، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م.
٤٢- المرأة والشعر، نِقولا فيّاض، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، ٢٠١٤م.
٤٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي "٣٤٦هـ"، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية/ صيدا - بيروت، ط:١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
٤٤- مشكلات فلسفية، مشكلة الحُب، د. زكريا إبراهيم، الناشر مكتبة مصر دار مصر للطباعة.
٤٥-مصطلحات الدلالة العربية "دراسة في ضوء علم اللغة الحديث"، د. جاسم محمد عيد، دار الكتب العلمية/ بيروت، ٢٠٠٥م.
٤٦-مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي "ت ٦٢٦هـ"، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٠م.

٤٧-مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا "ت٣٩٥هـ"،ى دار الحديث/ القاهرة، "د. ط"، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٨-معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني النحوي "ت٣٨٤هـ"، تحقيق وتعليق وتقديم: د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة/ جدة، ط:٢، ١٩٨١م – ١٤٠١هـ.

٤٩-معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٥٠-موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، عبدالمنعم حقني، مكتبة مدبولي/ القاهرة، ١٩٩٩م.

٥١-نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري، شهاب الدين النويري "ت٧٣٣هـ"، تحقيق: د. مفيد قميحة، د. حسن نورالدين، دار الكتب العلمية/ بيروت –لبنان، ط:١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1- An introduce to language: Fromkine: Fromkine, Robert Rodman (1988): 92.

2-Measurement of Romantic love, Rubin, Z.(1970). Jouranl of personality & social psychology, vol 16, No 2, pp. 265- 273.

3-Poetry in France: Jean Steworth Iondon: 1951: p.151.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

١- التكرار مظاهِرهُ وأسراره، رسالة ماجستير غير مطبوع، إعداد: عبدالرحمن محمد الشهراني، إشراف: الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، كلية اللغة العربية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٢- الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، أطروحة دكتوراه، إعداد: محمد علي فالح مقابلة، المشرف: الأستاذ الدكتور محمد حسن عواء، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، كانون الثاني ٢٠٠٦م.

المجلات والدوريات:

١- النص الأدبي، وقضاياهُ عند ميشال ريفاتير، وجون كوهين، مجلة فصول: مجلد:"٥"، العدد:"١"، اكتوبر ١٩٨٥.

٢- أسلوب التكرار في الأحاديث النبوية، دراسة تحليلية دلالية، طاني فرانسيكا،

STAI Sunan pandanaran Yogy akarta, lndonesia
Tonylenoory @ ymail. Com

٢٠١٩ /٠٧/٣١
Joural. Stainkudus. ac.id

Abstract

commiseration for lovers

Study in Indication Synthetic

Lamentation "Kuthaira Ouza" for instance

There is no doubt that the achievement of the manuscripts of There is no doubt various of situations for performing a duty , The diversity of stimuli in humans with sensory, unconscious and instinct sensitive systems. Which leads to a diversity of feelings, sensations, emotions and feelings, This therefore requires different types of function linguistic structures indication , Of that linguistic potential that God willing to be unique, In the function of discharging and venting those feelings and emotions that are raised by its various stimuli, which are only needs and psychological and biological purposes require verification and access and gain it. So the language became to embrace the feelings and feelings, needs and purposes. And mirror reflected and binoculars revealing what wanders in brain, follow it with this capacity , these are perhaps founded in the language and components. And reflecting the bad situation of life, the poetry and lamination , full of feelings , senses, and different sources, so we can found it through lamination of Adoring.

Key words:
Indication Synthetic, Indication structure, Linguistic behavior , Instinctive of Love, Adoring , Feelings and sensation, Feeling and subconscious

Number 61

7 Shaaban 1441 A.H

31th March 2020 M